

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

العنوان:

الجهود اللغوية عند مسعود صحراوي من خلال كتابة لحظة ميلاد
التداولية

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة ماستر أكاديمي

إشراف الدكتور:

إعداد الطالبة :

عثماني عمار

الخدیم حكيمة

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة غليزان	1- أ / غندوز محمد
مشرفا ومقررا	جامعة غليزان	2- أ / عمار عثماني
عضوا مناقشا	جامعة غليزان	3- أ / حمداني محمد

السنة الجامعية: 1445-1446هـ / 2024-2025م

شكر وتقدير :

الحمد لله الذي أعانني في إعداد وإتمام هذا البحث ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

أتوجه بفاضل وجزيل الشكر إلى من أعانني ولو بالقليل في إنجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل " عمار عثمانى " الذي كان لي سندا وثيقا واليد التي قدمت لي العون بإشرافه وتوجيهاته ومساعدته القيمة وصبره معي طيلة إنجاز هذا البحث ، فقد كانت خير مشرف ومرشد ، أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يجعله ذخرا للعلم والمعرفة.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل أساتذة الأدب العربي في جامعة غليزان ، الذين يسعون في إيصال وتبليغ الأمانة العلمية لكافة الطلبة .

كما أشكر من حمل عناء كتابة هذا العمل على عاتقه وإخراجه في أحسن صورة .

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، أهدي ثمرة جهدي وتخرجي هذا:

إلى من كانا سندي ودعائي في كل خطوة، إلى أعز الناس على قلبي، أبي وأمي حفظهما الله وأطال في عمرهما.

إلى أخواتي الغاليات رانيا ، ملاك، فرح ، نذير ، رياض، إكرام اللواتي كنّ مصدر حب وتشجيع وسند دائم لي.

إلى كل أساتذتي الأفاضل خاصة الأستاذ المشرف عمار عثمان .

إلى أصدقائي وزملائي من بينهم إكرام ، محمد، جمال غوالي، رميسة الدين رافقوني طوال مشواري الدراسي.

وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في دعمي لإتمام هذا العمل المتواضع.

أهدي لكم هذا الإنجاز، راجيةً من الله دوام النجاح والتوفيق.

مقدمة

شهدت الدراسات اللسانية المعاصرة في النصف الثاني من القرن العشرين تحولاً إستمولوجياً بارزاً، تمثل في الانتقال من اللسانيات البنيوية والتوليدية الصورية - التي حصرت جهودها في توصيف الأبنية اللغوية التجريدية داخل أسوار النظام المغلق - إلى رحاب "اللسانيات التداولية" (Pragmatics) "هذا المنزع المعرفي الجديد لم يعد ينظر إلى اللغة بوصفها مجرد أداة واصفة أو مرآة عاكسة للواقع، بل باعتبارها "طاقة فعلية تواصلية" تنجز أحداثاً وتحدث آثاراً متباينة في بيئتها المقامية. وفي خضم حركة الثقافة ومحاولات توطين هذا الوافد اللساني الجديد في الساحة المعرفية العربية، برزت جهود لسانية جزائرية وعربية رائدة حاولت رصد بزوغ المصطلح التداولي، ومقارنته مقارنة نقدية واعية، وتأسيس مفاهيمه في التربة التراثية؛ ويأتي في طليعة هذه الجهود منجز الأكاديمي الجزائري الدكتور "مسعود صحراوي"، لا سيما في كتابه المرجعي الموسوم بـ "لحظة ميلاد التداولية".

سبب اختيار الموضوع: تتعدد الدوافع المعرفية والمنهجية التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع والاشتغال عليه، ومن أبرزها:

- **الدوافع الموضوعية:** الرغبة في إبراز كفاءة المنتج النقدي واللساني الجزائري المعاصر، وتمثل الطروحات النظرية والتطبيقية للدكتور مسعود صحراوي كنموذج للثقافة اللسانية الناضجة.
- **الدوافع الذاتية والأكاديمية:** الشغف بمباحث "اللسانيات التداولية" ونظرية "الأفعال الكلامية" (Speech Acts)، والحاجة الملحة لتتبع سياقات انتقال هذا المصطلح وإشكالات ترجمته وتعدداته المفاهيمية في البيئة اللسانية العربية المعاصرة.

طرح الإشكالية: تتحدد الإشكالية المركزية لهذه الدراسة في تساؤل جوهري رئيس مفاده: **كيف قارب مسعود صحراوي التداولية في الدرس اللساني المعاصر، وما هي أبعاد رؤيته النقدية والتأصيلية للمصطلح التداولي ولنظرية الأفعال الكلامية؟** وينبثق عن هذا التساؤل المحوري مجموعة من الأسئلة الفرعية المتتالية:

- ما هي المفاهيم، والإشكالات، والأسس الفلسفية واللسانية التي نهضت عليها التداولية المعاصرة؟
- ما طبيعة العقبات وأسباب التعقيد التي تكتنف ترجمة وضبط المصطلح التداولي في اللسانيات العربية؟
- كيف قدم مسعود صحراوي بطاقته الفنية والوصف العلمي والمنهجي لكتابه "لحظة ميلاد التداولية"؟

- ما هي الخصوصية المنهجية التي ميزت رؤية صحراوي للتداولية ونظرية الأفعال الكلامية (بين أوستين وسيرل)، وكيف استطاع تأصيلها في التراث العربي البلاغي والأصولي؟
خطة البحث المعتمدة: للإجابة عن الإشكالية المطروحة وتفكيك أبعادها، تم تقسيم هذه المذكرة وفق هيكلية منهجية متوازنة تتوزع على فصلين متكاملين مسبوقين بتمهيد ومقدمة، ومختومين بخاتمة بيبليوغرافية:
- **الفصل الأول وعنوانه: (التداولية في الفكر اللساني المعاصر: المفاهيم، الإشكالات، والأسس الفلسفية)؛** وهو فصل نظري تأصيلي يندرج في ثلاثة مباحث؛ تناول المبحث الأول مفهوم التداولية لغة واصطلاحاً، ونشأتها وتطورها، وعلاقتها بالعلوم الأخرى وقضاياها. أما المبحث الثاني فقد رصد إشكالات ترجمة المصطلح التداولي في اللسانيات العربية وطبيعته وصعوبات وضبطه. في حين تكفل المبحث الثالث بفحص المرجعية الفلسفية للتداولية (فلسفة اللغة، إسهامات موريس وبريس) والمرجعية اللسانية، متتبّعاً انتقال اللغة من التمثيل إلى الفعل التواصل السياقي.
- **الفصل الثاني وعنوانه: (قراءة في الجهود اللغوية عند مسعود صحراوي)؛** وهو فصل تحليلي نقدي بُني على ثلاثة مباحث؛ انطلق المبحث الأول بتقديم بطاقة فنية لكتاب "لحظة ميلاد التداولية" والتعريف بالمؤلف ووصف منجزه العلمي. وجاء المبحث الثاني ليتتبع التداولية في رؤية صحراوي من منظور التجاوز المنهجي والتحليل النقدي لمشكلات ترجمة المصطلح. ليختتم المبحث الثالث بدراسة نظرية الأفعال الكلامية وتحليل سياقها الفلسفي عند صحراوي من خلال قراءته لطروحات "أوستين" وتطوير "سيرل" لها، وصولاً إلى محاولته الجادة في تأصيل النظرية داخل التربة التراثية العربية (بلاغة وأصولاً).
- **المنهج المعتمد:** استدعت طبيعة الدراسة المفاهيمية والنقدية الاعتماد على **المنهج الوصفي التحليلي؛** وذلك عبر وصف الجذور الفلسفية واللسانية للمصطلح التداولي، ومن ثم تحليل المتن اللساني والنقدي لمؤلفات مسعود صحراوي، واستنطاق آلياته الإجرائية في نقد الترجمة وتأصيل الأفعال الكلامية. كما تمت الاستعانة بـ **المنهج المقارن** في المواضيع التي استدعت موازنة طروحات صحراوي بالمنجزات التداولية الغربية والتراثية.
- **المراجع المعتمدة:** تتنوع المادة العلمية لهذا البحث بين مصادر أساسية يتقدمها كتاب الدكتور مسعود صحراوي "التداولية عند العلماء العرب" وكتاب "لحظة ميلاد التداولية"، إلى جانب أمهات المصادر الفلسفية

واللسانية المترجمة لـ (أوستين، سيرل، وبيرس)، ومجموعة من المراجع العربية المعاصرة والدوريات الأكاديمية المتخصصة في تحليل الخطاب وعلم المصطلح اللساني.

العقبات والصعوبات: لعل من أبرز الصعوبات التي واجهت مسار هذا البحث هي تشعب المصطلحات التداولية وتعدد مقابلاتها العربية في البيئات النقدية المختلفة، مما تطلب دقة فائقة في الفحص والموازنة، بالإضافة إلى صعوبة المزاوجة والتوفيق بين المرجعيات الفلسفية الغربية المعقدة وآليات التأصيل في الموروث البلاغي والأصولي العربي القديم، غير أن الاستناد إلى البنية المنهجية الصارمة لكتابات صحراوي ذلل هذه العقبات المعرفية.

في الختام لا يعني إلا أن أشكر الله تعالى الذي وفقني في إعداد هذا العمل ، فله الحمد والشكر ، كما اتقدم بالشكر والتقدير، إلى أستاذتي المشرفة "لغويل سهام " وإلى كل من ساعدني وأسأل الله تعالى سبحانه الموفق وعليه نتوكل ونستعين .

الفصل الأول :

التداولية في الفكر اللساني المعاصر: المفاهيم، الإشكالات،
والأسس الفلسفية

المبحث الأول: التداولية في الدرس اللساني المعاصر

أولاً: مفهوم التداولية

التداولية لغة:

يقول الزمخشري: "دالت الدولة. ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان منعذوهم: جعل الكرة لهم عليه"¹، فالتداولية من التفاعل والنقل والدوران، كما اقترنت لغويًا بـ "المحال" و "التقريب"، فالمجال يشير إلى دلالة الدوران والحركة اللغوية، أما التقريب فيرتبط باليقين، "لأن صاحب المجال التداولي إما أن يقوم بنقل ما يطابق محاله أو ما يمكن مطابقته بعد معالجته"².

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت هـ): «تداولنا الأمر، أخذناه بالدول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة»³.

تتجلى الوحدة الدلالية لمصطلح (التداولية) في المتن المعجمي العربي من خلال تتبع الجذر اللغوي "دول"، الذي لا ينفك يدور في فلك التحول، والتبدل، والانتقال؛ وهي دلالات مركزية تعكس حركية الظاهرة اللغوية في جوهرها. فالفعل التداولي يقتضي بالضرورة وجود ثنائية (المتكلم والسامع) أو تعدد الأطراف الذين يشتركون في عملية "التناقل" الذهني واللفظي، مما ينقل اللغة من ركود البنية التجريدية إلى حيوية الاستعمال الاجتماعي.

إن صياغة مصطلح "التداولية" بهذا الاشتقاق لم تكن عفوية، بل جاءت تعبيراً عن "الصيرورة" التي تمر بها اللغة وهي تنتقل من حال لدى المرسل إلى حال أخرى لدى المتلقي. ومن هذا المنطلق، يكتسب مصطلح (التداولية) مشروعية علمية وثباتاً دلالياً يفوق المصطلحات المقترحة الأخرى كـ "الذرائعية" أو "النفعية" أو "السياقية"؛ لكونه يحيط بالبعد التفاعلي التشاركي الذي هو أصل في كل عملية تواصلية بشرية.⁴

¹ . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري أساس البلاغة. ج 2 (1)، تج: محمد باسل عيون السود المترجمون بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1998، ص 303.

² محمد حمزة إبراهيم ستار جبر حمود الأعرجي، المنهج التداولي في فكر طه عبد الرحمن، ج 2، 2012، ص 174.

³ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 11، ط3، 1994، ص 253. 252.

⁴ ينظر: خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع العلمية، الجزائر، ط1، 2009، ص 63.

التداولية اصطلاحاً

تعتبر التداولية (Pragmatics) من أبرز المنجزات الاصطلاحية في اللسانيات الحديثة، وبالرغم من أن ذيوها وانتشارها الأكاديمي لم يتبلور بشكل قطعي إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أن جذورها المعرفية الممتدة مكنتها من احتلال موقع الصدارة في المشهد اللغوي المعاصر. لقد مثلت التداولية قفزة نوعية تجاوزت بها حدود اللسانيات البنوية المنغلقة على "النظام"، لتنتفتح على أفق "الاستعمال"؛ مما أكسبها صبغة بينية فريدة. هذا الانفتاح المعرفي جعلها تتقاطع مع حقول الفلسفة التحليلية، والمنطق، والسيمياءات، وعلم الاجتماع، وعلم النفس وهو ما منح الباحثين أدوات تحليلية أكثر مرونة وقدرة على سبر أغوار الظاهرة اللغوية وتفسير أبعادها التواصلية والوظيفية في سياقاتها الواقعية.¹

اقترن بزوغ المصطلح التداولي بضرورة معرفية ملحة تمثلت في تجاوز الأطر اللسانية الصورية تلك التي حصرت نفسها في توصيف البنى اللغوية المجردة لتمتد الدراسة نحو فضاء اللغة في سياق تشكيلها الفعلي داخل المتن الخطابي، وانطلاقاً من هذا التحول ارتكز الاهتمام التداولي على "الأفعال الكلامية" بوصفها وحدات لغوية لا تكفي بنقل الخبر بل تتحقق بالفعل وتنجز وظائف تأثيرية متباينة ضمن المقامات التواصلية.²

وفي هذا الإطار يقدم الباحث فالح بن شبيب العجمي مقارنة تعريفية شاملة بحيث يرى فيه من خلالها أن التداولية تمثل ذاك الفرع اللساني المتولد من تقاطع الدراسات اللغوية والفلسفية والاجتماعية؛ فهي تبحث في وشائج الصلة بين اللفظ اللغوي الطبيعي وبين كفاءات وحالات استخدامه العينية. وهو تعريف يعزز من شأن البعد التكاملي للتداولية، ويضع علاقة اللغة بسياقاتها الاستعمالية في قلب العملية التحليلية.³

كما يؤكد مسعود صحراوي أن التداولية ليست علماً يكتفي بوصف البنى اللغوية أو تفسير أشكالها الظاهرة بل هي علم جديد للتواصل الإنساني يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويركّز على العلاقة بين الملفوظ والسياق، وبين القول والقصد، وبين المعنى الحرفي والمعنى المقصود⁴، إذ يقول: "فالتداولية ليست علماً لغوياً محضاً، بالمعنى التقليدي، علماً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج من ثمّ، مشاريع

¹ شارل موريس، أسس نظرية العلامات، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 45.

² فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1986م، ص 14-18.

³ فالح بن شبيب العجمي، الربط الذرعي في النص العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2011، ص 203-286.

⁴ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 15-30.

معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره . وعليه، فإن الحديث عن التداولية " وعن "شبكة المفاهيمية" يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب والاستدلالات التداولية والعمليات الذهنية المتحركة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال ... الخ. فنحن نرى أن التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة، منها : الفلسفة التحليلية ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلاً في نظرية الملاءمة " Théorie de pertinence على الخصوص، ومنها علوم التواصل، ومنها اللسانيات بطبيعة الحال ¹.

بناء على هذا التصور اتضح أن التداولية تنزاح عن دراسة اللغة ككيان معزول أو بنية مغلقة مكتفية بذاتها، لتتجه صوب فضاء الاستعمال الفعلي ضمن المقامات التواصلية المتنوعة، فهي تنقصى اللغة بوصفها "منجزا كلاميا" يصدر عن ذات متكلمة واعية، ويتجه نحو مخاطب محدد ضمن إحداثيات سياقية (زمانية ومكانية) مخصوصة تحكمها مقاصد وغايات تواصلية محددة، ومن هذا المنطلق يذهب فريق من الباحثين إلى تعريفها بأنها "دراسة استعمال اللغة في الخطاب" وهو ما يجعلها شاهدا حيا على القدرة الخطابية للمتكلم، ويركز هذا الطرح بشكل جوهري على الوظيفة الإنجازية للغة أي قدرتها على تجاوز عتبة الوصف والتبليغ إلى عتبة "الفعّل" وتوليد الدلالات العميقة التي لا يستقيم معناها إلا باستحضار السياق التداولي الذي ولدت فيه. ²

يرى عبد السلام المسدي أنّ التداولية تمثل انتقالا نوعيا في الدرس اللساني لأنها تهتم باللغة باعتبارها ممارسة اجتماعية لا مجرد نسق من العلامات، فهي تدرس الكلام في علاقته بالمتكلمين وبشروط إنتاجه وتلقيه، وبالسياق الثقافي والاجتماعي الذي ينتج فيه المعنى ³.

يعرف طه عبد الرحمن التداولية باعتبارها: علم يدرس شروط استعمال الخطاب اللغوي في سياق تواصلية معيّن ويركّز على العلاقة بين الملفوظ ومقاصد المتكلم وما يترتب عنها من آثار تداولية في ذهن المخاطب، وهو تعريف يمنح القصدية مكانة محورية في بناء المعنى ويبرز الوظيفة التأثيرية للخطاب اللغوي ⁴.

ثانيا: نشأة التداولية وتطورها

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، المصدر نفسه، ص16.

² أرمينكو فرانسواز، المقارنة التداولية، ترجمة: عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص 8

³ عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 2003، ص 189.

⁴ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص 234.

يَعُودُ الْفَضْلُ فِي استحداث مصطلح التداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز ساندرس بيرس 1839 - 1914 (Ch. Perse) حينما نشر مقالتي في مجلة ميتافيزيقيا ، سنة 1978 و 1979 بعنوان "كيف يمكن تثبيت الاعتقاد ؟ ومنطق العلم كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ حيث أكد على أن الفكر في طبيعته إبداع العادات فعلية، ذلك أنه مقرون بقيمتين متى يتم الفعل ؟ وكيف يتم ؟ فيكون مقترنا بالإدراك في حالته الأولى وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة، ليصل إلى أن الممارسة والتطبيق والفعل، هي التي تشكل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار.¹ فالتداولية اللسانية إتجاه جديد في دراسة اللغة يبحث عن حل لعدد من المشاكل اللغوية التي أهملتها اللسانيات ولم تهتم بها نحو (الفونولوجيا، التركيب، الدلالة)، ولذلك يعترف كارناب Karnab، أن التداولية درس غزير وجديد، بل يذهب إلى أكثر من هذا بقوله: إنها قاعدة اللسانيات².

كما أن اللسانيات التداولية تشكل محاولة جادة للإجابة عن جملة من الأسئلة تفرض نفسها على الباحث والبحث العلمي بعامه، وعجزت اللسانيات عن الإجابة عنها، متوسلة في سبيل ذلك عددا من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي أسئلة من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم ومع من يتكلم؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيئا آخر غير الذي كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى العرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟³.

ان التداولية تشكل درسا جديدا وغزيرا لما يمتلك بعد حدودا واضحة، انبثق من التفكير الفلسفي في اللغة بيد أنه سرعان ما تجاوزه ليعمل على صقل أدوات تحليله، وبخاصة التداولية اللسانية موضوع حديثنا. كما تعد اللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد سقراط"، ثم تبعه أرسطو" والرواقيون من بعده، بيد أنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلا على يد باركلي، تغذيها طائفة من العلوم على رأسها الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع.⁴

¹ ينظر: الزاوي بغورة العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد) عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 2007، العدد 3 المجلد 35 ، ص 199.

² عبد الهادي بن ظافر الشهيري استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دارالكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص 23

³ ينظر: فرانسواز أرمينيكو : المقاربة التداولية، ص 11 وينظر: عبد القادر بن ظافر الشهيري استراتيجيات الخطاب، ص 2423

⁴ ينظر: نعمان بوقرة اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2009، ص 244.

ولم تصبح التداولية مجالا يعتد به في الدرس اللساني إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن طورها فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أوكسفورد Oxford جون أوستين J. Austine ، وجون سيرل J. Searl ، وبول غرايس Paul Grise ، وهم من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية Langage Natiral في مقابل مدرسة اللغة الشكلية (الصورية) Formal Language وكانوا يهدفون إلى إيجاد طريقة لتوصيل معنى اللغة الإنسانية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها، فكان عملهم من صميم البحث التداولي.¹

شكل ظهور نظرية أفعال الكلام (Speech Acts) المنعطف الحاسم في تبلور اللسانيات التداولية، وهي النظرية التي وضع لبناتها الأولى الفيلسوف جون أوستين² (J. Austin) ، ثم تعهدا بالتدقيق والتطوير تلميذه جون سيرل³ (J. Searle) ، لتفتح الباب أمام حزمة من المفاهيم والنظريات التي باتت تشكل اليوم الهيكل الصلب لهذا الحقل، مثل: الاستلزام الحواري، والإشارات، والاقتضاء.⁴

وانطلق أوستين من ملاحظة بسيطة مفادها أن كثيرا من الجمل التي لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب « لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنما تغيّرها أو تسعى إلى تغييرها»⁵. فجملة من قبيل "أمرك بالصمت لا تصف واقعا بل تسعى لتغيير حالة الضجيج إلى الصمت.

وبناء على هذه الملاحظات قسم أوستين Austine الجمل إلى جمل وصفية يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وجمل إنشائية لا ينطبق عليها ذلك الحكم، وتقابل في الثقافة اللغوية العربية الجمل الخبرية والجمل الإنشائية، مثلما نجد عند علماء النحو والبلاغة، وكذا علماء التفسير وأصول الفقه في أبحاثهم.

وتنفرد الجمل الإنشائية بخصائص لا توجد في الجمل الوصفية، نحو كونها تسند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا من قبيل "أمر" و"وعد" و"أقسم" ويفيد معناه على وجه الدقة إنجاز عمل، وتسمى هذه الأفعال أفعالا إنشائية⁶.

¹ ينظر : محمود أحمد نحلة أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 109

² جون أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة: عماد نبيل، مراجعة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2006، ص 33 وما بعدها.

³ جون سيرل، الأفعال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، ترجمة: معتمد علي، دار الهاني، القاهرة، 2005، ص 18.

⁴ جون أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة: عماد نبيل، مراجعة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2006، ص 33 وما بعدها.

⁵ آن رويول، جاك موشلار : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة لطباعة والنشر، 2003، ط1، ص 30.

⁶ آن رويول، جاك موشلار : التداولية اليوم، ص 31.

والواقع أن "أوستين" لم يكن يسعى -بشكل مباشر- عند إلقاءه لمحاضرات "ويليام جيمس" بجامعة هارفارد عام 1955 إلى تأسيس فرع لساني مستقل¹، بل كان هاجسه الأساسي ينصب على صياغة مشروع فلسفي مغاير يندرج ضمن "فلسفة اللغة العادية" رغبةً منه في تجاوز ثنائية الصدق والكذب التي هيمنت على المنطقة. غير أن تلك الطروحات الفلسفية سرعان ما تحولت إلى البوتقة العلمية التي انصهرت فيها اللسانيات التداولية، لتعيد تشكيل فهمنا للعلاقة بين القول والعمل².

وتأسيساً على ذلك يغدو تقييم الأفعال الإنشائية خاضعاً لـ "مقياس التوفيق أو الإخفاق" (Felicity Conditions)، بدلاً من معيار الصدق والكذب؛ فالقصد من القول هنا هو إحداث تغيير في الواقع لا وصفه. ففي الموقف الذي تأمر فيه الأم ابنها قائلة: "نظف أسنانك"، بينما يجب هو: "لا أشعر بالنعاس"، لا يمكننا وصف منطوق الأم بالصدق أو الكذب بمفهومه التقريبي، بل نحن أمام "فعل أمر" باء بالإخفاق لعدم تحقق الاستجابة المرجوة منه. أما في حال امتثال الابن للفعل المأمور به، فإن القول حينئذٍ يوصف بأنه فعل إنجازي تكمل بالنجاح واستوفى شروط توفيقه.

بيد أن أوستين اكتشف فيما بعد أن المقابلة بين الجمل الوصفية والجمل الإنشائية ليست بالبساطة التي كان يظن ذلك أن هناك جملاً إنشائية لكنها لا تستند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، ولا تتضمن أي فعل إنشائي مثل: رفعت الجلسة³، وقد قادته هذه الملاحظات الأخيرة إلى وضع مفهوم جديد، مفاده أن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، وهو مفهوم الأعمال اللغوية، التي ميز فيها أوستين ثلاثة أنواع: العمل القولي، والعمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول.

اذن اتضح أن منطوق "نظف أسنانك" يجسد المستويات الثلاثة للفعل الكلامي كما صاغها أوستين؛ فالمستوى الأول هو "الفعل القولي" المتمثل في عملية التلفظ بذاتها، يليه "الفعل المتضمن في القول" وهو القوة الإنجازية الكامنة في صيغة الأمر التي وصلت إلى ذهن الابن، وصولاً إلى "فعل التأثير بالقول" الذي يتجلى في النتيجة المحققة أو رد الفعل؛ فإجابة الابن بـ "لا أشعر بالنعاس" هي محاولة لإحداث أثر تداولي يهدف إلى إقناع الأم بتأجيل الفعل، وهي إجابة تحمل في ذاتها أيضاً مستويات الفعل القولي والإنجازي⁴.

¹ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية: مع دراسة تحليلية للخطاب من منظور أفعال الكلام، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 22-25.

² مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، 2005، ص14.

³ المرجع نفسه، ص31.

⁴ جون أوستين، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة: عماد نبيل، ص 112-115.

لقد مثلت طروحات أوستين حجر الزاوية لنظرية أفعال الكلام، التي تعد أولى النظريات التداولية نضجاً، قبل أن تشهد تطوراً جوهرياً على يد تلميذه جون سيرل (J. Searle) الذي أضفى عليها صبغة أكثر نظامية¹. ومن رحم هذه البدايات، تناسلت نظريات تداولية كبرى كـ "القصدية"، و"الملاءمة"، و"الاستلزام الحواري"، و"الحجاج"²، لتشكل في مجموعها الصرح المعرفي لما يصطلح عليه اليوم بـ اللسانيات التداولية³.

ثالثاً: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى

علاقة التداولية بالحقول المعرفية الأخرى تشير الكثير من الدراسات الحديثة إلى تداخل التداولية (pragmatique) مع حقول أخرى كاللسانيات (La linguistique) والسيميائية (La semiotique)، وعلم الاجتماع (La sociologie)، وعليه يبقى مصطلح التداولية فيه نوع من اللبس، والغموض، لأنه مستعمل للإحالة على مجال لساني واسع، ورؤية خاصة للغة...⁴ وسنحاول فيما يلي عرض جملة من المفاهيم المتنوعة للتداولية، انطلاقاً من علاقتها وتداخلها مع جملة من العلوم والمناهج والمعارف:

1 - التداولية والفلسفة:

عُرفت التداولية في بداية ظهورها كاتجاه فلسفي أكثر منها مقارنة لسانية لأنها اقترنت بأعمال أكبر الفلاسفة أمثال: (أوستن، ووليم جيمس، وجون ديوي، وبيرس، وفيتجنشتاين وسيرل وغيرهم...)، فهي اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت مع (سقراط)، و (أرسطو). كما ارتبطت أيضاً بمجموعة من التراكمات القديمة في مجال فلسفة اللغة عامة، والفلسفة التحليلية، التي يرى أصحابها أن اللغة هي الأداة المعرفية الوحيدة لمعرفة خبايا الكون وأسراره. وربما هذا التصور العام للغة، هو الذي نشأت بين أحضانه ظاهرة الأفعال

¹ جون سيرل، العقول والأدمغة والعلم، ترجمة: مصطفى ناصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993، ص 54.
² دانيال فاندريكين، العرفان والتواصل: أفعال الكلام ومنطق الجهة، ترجمة: عبد القادر فاسي فاهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2004، ص 28.
³ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص 215.
⁴ ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، سلسلة الدروس في اللغات والآداب ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 43.

الكلامية وليدة الفلسفة العادية ذات المنهج الوظيفي التداولي. وهي أحد الفروع الثلاثة للفلسفة التحليلية إضافة إلى الوضعانية المنطقية والظاهرانية اللغوية....¹

4- التداولية وتحليل الخطاب:

عنيت الدراسات التداولية من ناحية أطرها اللغوية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب ... "يمكن تصنيف هذه الجوانب إلى ثلاثة مسارات ... هي الأفعال الكلامية، والقصد أو المعنى التداولي، والإشارات، ولا يتم تحديد هذه الجوانب بدقة، إلا في الخطاب المستعمل ..."²، الذي يستهدف متلقيا معينا قصد التأثير فيه وإقناعه، أو الخطاب الذي يسعى إلى التغيير في السلوك البشري، أو الفعل بالقول كما أشار إلى ذلك رائد نظرية أفعال الكلام أوستين.

وتتداخل التداولية أيضا مع تحليل الخطاب (L'analyse du discours) وتتقاطع معه في "الاهتمام بتحليل الحوار، ويقتسمان عدداً من المفاهيم الفلسفية واللغوية كالطريقة التي توزع بها المعلومات، من جمل ونصوص والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية .."³، أو الاستلزام الحوارية كما يسميه غرايس (Gric)، الذي يتأسس على المعارف المشتركة بين المخاطب والمتلقي، ولقد أشار جورج لا يكوف (George Lakoff) ومارك جونسون (Mark Johnson) إلى أنه "عندما لا يشترك الناس الذين يتحاورون نفس الثقافة ونفس المعرفة، ونفس القيم، ونفس المسلمات، فإن الفهم المتبادل يكون صعبا".⁴

6- التداولية وعلم الدلالة:

تتداخل التداولية مع علم الدلالة (La semantique) الذي تتقاطع معه في دراسة المعنى أو التفاعل بين المعنى والاستعمال. فبحكم علاقتها بالحقل الدلالي وتوجهها للبحث في الدلالة وتعددها، وتعدد طرق تأويلها عرفت التداولية تداخلا مع علم الدلالة، أنتج عدة تعريفات للتداولية تؤكد جملها على أن التداولية "... جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات فهي تعنى بدراسة استعمال اللغة في

1 - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي ص 22-23

2 - الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 22.

3 - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 11.

4 - ينظر : جورج لا يكوف، ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، 2، دار توبقال للنشر، المغرب، 2009، ص 216.

الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية فهي إذن تهتم بالمعنى كالدلالة وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها".¹

7 - التداولية والأدب:

استفاد الأدب من التحليل التداولي، إذ تجدد التحليل النصي بشكل معمق حيث لم يعد مقبولا البحث فقط عما أراد الكاتب قوله ولا إنجاز تحليل مستفرد لنص من النصوص أو إيراد المعنى الذي أفاده النص... وإنما أصبح التحليل الأدبي يهتم بالعناصر الإشارية والروابط وحالات التبادل السني والتصرفات في الإحالة الداخلية داخل النص (والخارجية خارج النص) والمشارك الدلالي.²

أصبحت التداولية اليوم مقاربة من مقاربات النص الأدبي، رغم اصطدامها بعدة معضلات صعبت من استثمارها في دراسة الخطاب الأدبي والولوج إلى عوالمه المتنوعة. ويمكن أن نلخص أهم عقبة في السؤال الآتي: هل نعامل الآثار الأدبية بوصفها جنسا من الملفوظات كسائر الأجناس، أو إننا نضعها على حدة، والحال أنها ملفوظات ليست كسائر الملفوظات من جهة وهي من جهة أخرى ليست ملفوظات خارجة عن قوانين اللغة، نظرا لنزعتها النفسية والشكلية.³

8- التداولية والفن:

وفيما يخص الفن والإبداع عامة، فبإمكانهما أن يحققا تواصلًا من نوع خاص، فقد أشار كروتش (Krochh) إلى "أن ثمة تواصلًا (communication) يتحقق بيننا وبين الفنانين، عبر تلك الأعمال الفنية التي عبروا فيها بأنفسهم، صحيح أن الفنان لم يعمل ولم ينفعل، اللهم إلا من أجل تلك الصورة الفنية التي أبرزها إلى الخارج الموضوعي، على نحو غنائي (lyrique) والمنحدرة من اضطرابه الانفعالي ولكن من المؤكد مع ذلك، أن هذه الصورة (image) التي اغتبط الفنان بنجاحه في إبداعها، هي في الوقت نفسه "صورة" يغتبط الآخرون لرؤيتها، وكأن انفعالات الفنان قد أصبحت انفعالاتهم أو كأن غبطة الإبداع قد استحالت إلى غبطة تذوق...".⁴ كما تحدث كروتشه أيضا عن نفعية الفن، وتداوليته عندما قال: «... وليس النشاط الإبداعي تأكيدًا للطابع

¹ 45 نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، ط1، جدار للكتاب العالمي، عمان الأردن ، 2009 ص 97

² - ينظر : فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، م، س، ص 195.

³ ينظر : فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، م، س، ص 197

⁴ محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني، ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة العربية وأدائها، تلمسان، العدد الأول 1994 ص 32

الذاتي للفنان، بل يدل على اتصال أو تواصل (contact) (communication) بين الفنان والآخرين من الفنانين أو المتذوقين، وهذه الصلة تجمع بين البشر جميعاً، وهي بمثابة نوع من المشاركة الذوقية للأثر المبدع أو المصنف الفني¹.

9- التداولية واللسانيات الاجتماعية:

تتفق اللسانيات الاجتماعية (La sociolinguistique) مع التداولية في "تبيين العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعها..."² لأن التداولية لا تقف عند حد الوصف أو البحث عن المعاني المباشرة أو المضمرّة والضمنية للغة، وإنما تتجاوز ذلك إلى البحث في أحوال المخاطب والمتلقي، والسياق والمقام والمعاني التي تتولد نتيجة استعمالنا للغة في سياقات ومقامات مختلفة، مما يجعلنا نلجأ إلى الاستدلال والتأويل حتى نتوصل للمعاني التي يقصدها المخاطب. وما لاشك فيه فإن كل العناصر المسهمة في إنتاج النصوص والخطابات سواء أكانت لغوية نصانية، تتعلق باللغة في حد ذاتها من أصوات وتراكيب وصرف ونحو، وأفعال كلامية وإنجازية، وافتراضات مسبقة ومضمرات للقول وحجاج وعلاقات خطابية أم كانت سياقية خارجة عن النص تتعلق بالجوانب النفسية والثقافية والسياسية والدينية العقدية والاقتصادية والاجتماعية، أو مقامية تتعلق بالموقف التخاطبي أو التواصل كالمخاطب والمتلقي - فإن كل هذه العناصر نستحضرها لحظة القراءة والتحليل والنقد، والبحث عن المعاني والأفكار والموضوعات والقيم المقصودة وغير المقصودة داخل النصوص والخطابات.

رابعاً: مفاهيم التداولية وقضاياها

ترتكز التداولية على مجموعة من المفاهيم الإجرائية والقضايا، تمكنها من معالجة اللغة في سياقات استعمالها المختلفة، يقول صلاح إسماعيل: "علم الاستعمال إذن دراسة لغوية تركز على المستعملين للغة، وسياق استعمالها في عملية التفسير اللغوي، بجوانبها المتنوعة Conversation".³

¹ محمد عزيز نظمي سالم، قراءات في علم الجمال حول الاستيطيقا، النظرية والتطبيق (نظريات الإبداع الفني الجزء الخامس مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1996، ص 26.

² خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 132-133.

³ صلاح إسماعيل عبد الحق: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، (دط)، 2005، ص 77-78.

فالتداولية علم تواصلية جديد، يقوم على مجموعة من المفاهيم الإجرائية، يكاد يتفق الباحثون على أن أهمها أربعة مفاهيم: أفعال الكلام Les Actes De Langages ومتضمنات القول Les Implicites والاستلزام الحوارية L'implication Conversationnelle والاشاريات Deicies هذا بالإضافة لجوانب وآليات أخرى تعد من صميم البحث التداولي، مثل: نظرية الملاءمة Théorie Pertinence، والقصدية Intentionalistic¹، والسياق Contexte، والحجاج L'argumentation.

المبحث الثاني: إشكالات ترجمة المصطلح التداولي في اللسانيات العربية

يعتبر المصطلح التداولي من أكثر المصطلحات اللسانية الحديثة تعقيدا وإثارة للإشكال في سياق الدرس اللساني العربي، ويرجع ذلك أساسا إلى طبيعته المعرفية المركبة، وحدائثه تشكّله، وتداخله مع حقول علمية متعدّدة. فالتداولية، بوصفها مجالا يهتم بدراسة اللغة في الاستعمال، لا تنطلق من البنية اللغوية في ذاتها، بل من الفعل اللغوي في سياقه التواصلية، وما يحيط به من مقاصد المتكلم، وشروط المقام، والعلاقات الاجتماعية والثقافية بين أطراف الخطاب. وقد انعكس هذا التصور الواسع والمعقد على المصطلح التداولي ذاته، فجاء غير مستقر دلاليا، ومتعدّد الأبعاد، وصعب الضبط المفهومي².

أولاً: طبيعة المصطلح التداولي وصعوبات ضبطه

1- طبيعة المصطلح التداولي

ان مصطلح التداولية شاع بين الباحثين بمسميات متعددة، فهي اتجاه لغوي حديث في اللسانيات، يهدف إلى دراسة اللغة أثناء استعمالها، لأنها تهتم بأركان العملية التواصلية، ويرجع السبب في تعدد مصطلحاتها إلى ارتباطها بالعديد من العلوم، واختلاف حقولها المعرفية، وإن الحديث عن إشكالية المصطلح في المؤلفات العربية لاسيما الجزائرية منها يؤدي بنا إلى إعادة النظر في الكتابات اللسانية التي ألفها الباحثون الجزائريون أو تلك التي ترجموها عن لغات أجنبية أخرى، فقد تولدت عن هذه الإشكالية مشكلة أخرى يمكن تسميتها بـ مشكلة ترجمة المصطلح اللساني " لاسيما المصطلح التداولي منه؛ وهي من المشاكل التي أولتها اللسانيات أهمية بالغة،

¹ ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 30 وما بعدها

² مسعود صحراوي، التداولية عند العرب: دراسة في الأصول والامتداد، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005، ص 15-32

وذلك بالنظر إلى أهميتها،¹ فإن العديد من المصطلحات الأجنبية في اللسانيات عامة واللسانيات التداولية على وجه الخصوص، لم تلق نجاحاً في ترجمتها وبالتالي لم تكن لها مقابلات عربية، حتى وإن نقلت من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية فتكون عملية النقل خاطئة، وبالتالي فإن مشكلة نقل المصطلح أكثر بكثير من مشكلة ترجمته.²

2- عقبات ضبط مصطلح التداولي

وتتمثل صعوبات ضبط المصطلح التداولي في:

_تعدد جذوره المعرفية:

إذ لم ينشأ هذا المصطلح داخل حقل لساني صرف، بل تشكل في نقطة تقاطع بين اللسانيات، والفلسفة، والمنطق، ونظريات التواصل، وهو ما جعل حدوده غير واضحة المعالم. فالتداولية مدينة للفلسفة التحليلية في اهتمامها بالقصد والمعنى غير الحرفي، كما استفادت من المنطق في تحليل الاستلزام والحجاج، ومن اللسانيات في دراسة البنية اللغوية، غير أنها تجاوزت هذه الحقول جميعاً بتركيزها على الاستعمال الفعلي للغة في السياق. هذا التعدد في المرجعيات جعل المصطلح التداولي مفتوحاً على قراءات وتأويلات مختلفة، يصعب معها الوصول إلى تعريف جامع مانع يحظى بإجماع الباحثين.³

_لم تعرف استقراراً مفاهيمياً حتى في بيئتها الأصلية:

إذ تختلف تعريفاتها باختلاف المدارس والاتجاهات، بين من ينظر إليها بوصفها امتداداً للدلالة، ومن يعدها بديلاً عنها، ومن يراها علماً مستقلاً يعني بالفعل الكلامي والسياق. هذا التذبذب المفهومي انتقل إلى اللسانيات العربية عند ترجمة المصطلح، فزاد من صعوبة ضبطه، وأدى إلى تعدد المقابلات الاصطلاحية، دون وجود معيار حاسم للترجيح بينها.⁴

¹ عاتكة حشاني، تعدد ترجمة مصطلحات اللسانيات التداولية في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة، مجلة البدايات، المجلد 06، العدد 02، جامعة غرداية الجزائر، جوان 2024، ص 26.

² عاتكة حشاني، تعدد ترجمة مصطلحات اللسانيات التداولية في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة، ص 26.

³ فالح بن شبيب العجمي، الربط الذرعي في النص العربي، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2010، ص 203-210.

⁴ أرمينكو فرانسواز، المقارنة التداولية، ترجمة: عبد القادر قنبيبي، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1998، ص 7-12.

كما تتجلى طبيعة المصطلح التداولي الإشكالية في ارتباطه الوثيق بالمقام والسياق، وهما عنصران يتسمان بطابع نسبي ومتغير، ولا يخضعان لقوانين ثابتة كالبنى الصرفية أو النحوية. فالمصطلح التداولي لا يعبر عن مفهوم جامد، بل عن شبكة من العلاقات السياقية والتواصلية، وهو ما يجعل نقله إلى العربية أمرًا بالغ الحساسية، لأنّ أي اختيار اصطلاحي لا بد أن يراعي هذه الأبعاد المركبة، لا أن يقتصر على المقابلة اللفظية¹.

__ تداخله مع مصطلحات قريبة منه:

في الدرس اللساني العربي، مثل: الخطاب، والسياق، والتواصل، والدلالة، والحجاج. فكثيرا ما تُستعمل هذه المصطلحات استعمالاً متقارباً أو متداخلاً، دون تمييز دقيق بين حدودها المفهومية، الأمر الذي يربك عملية الترجمة ويُضعف من دقة التحديد الاصطلاحي. وقد أشار عدد من الباحثين إلى أنّ هذا التداخل ليس ناجماً عن ضعف في العربية، بقدر ما هو نتيجة لطبيعة التداولية نفسها، بوصفها حقلاً عابراً للتخصصات².

__ حداثة المصطلح التداولي في الثقافة العربية:

أسهمت بدورها في صعوبة ضبطه؛ إذ دخل هذا المصطلح إلى الدرس اللساني العربي في سياق ترجمة متسارعة للمفاهيم الغربية، دون أن تواكبها في كثير من الأحيان جهود جماعية للتنسيق والتوحيد. فغابت المرجعيات الاصطلاحية الموحدة، وتعددت الاجتهادات الفردية، وهو ما جعل المصطلح التداولي عرضة للتعدد والاضطراب³.

أذن ان صعوبة ضبط المصطلح التداولي لا ترجع إلى عامل واحد، بل هي حصيلة تفاعل جملة من الأسباب، في مقدمتها طبيعته المركبة، وتعدد جذوره المعرفية، وعدم استقرار مفهومه، وارتباطه بالسياق والاستعمال، فضلاً عن حداثة في اللسانيات العربية. وهذه الصعوبات النظرية تمثل الخلفية الأساسية للإشكالات الترجمة التي سيجري تناولها في العناصر اللاحقة، ولا سيما ما يتصل بتعدد المقابلات الاصطلاحية وتعقيد عملية التوحيد والتقويس.

¹ أحمد المتوكل، قضايا في اللسانيات الوظيفية، ط2، منشورات عكاظ، الرباط، 1999، ص 85

² صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1992، ص 41-55.

³ عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 2001، ص 133-140.

ثانياً: أسباب تعقيد ترجمة المصطلح التداولي

تواجه ترجمة المصطلح التداولي في اللسانيات العربية جملة من الأسباب المعرفية والمنهجية التي أسهمت في تعثر المشروع الاصطلاحي التداولي وأدت إلى اضطراب المقابلات العربية وتعددها، وقد نبه عدد من الباحثين إلى أن هذه الأسباب لا ترتبط بعامل واحد بل هي نتاج تداخل أسباب علمية وتعليمية وترجمية، تتعلق بالباحث والمترجم، وبطبيعة المصطلح نفسه، وبواقع الممارسة اللسانية العربية.

ومن أبرز هذه الأسباب ما أشار إليه مسعود صحراوي والمتمثل في ضعف الرجوع إلى مصادر التداولية في لغاتها الأصلية حيث يلاحظ أن كثيراً من الطلبة والباحثين يكتفون بالكتب الوسيطة، سواء كانت مترجمة أو شارحة، دون الرجوع إلى النصوص المؤسسة للتداولية في الإنجليزية أو الفرنسية. ويؤدي هذا الاعتماد غير المباشر إلى نقل مفاهيم جاهزة قد تكون مشروحة أو مؤولة، لا المفهوم في صيغته الأصلية، مما يضعف احتمالات الخطأ الاصطلاحي وسوء الفهم¹.

ويرتبط بذلك سبب آخر يتمثل في قلة إتقان اللغات الأجنبية الحاملة للفكر التداولي وهو ما يحول دون استيعاب المفاهيم التداولية في سياقها النظري والفلسفي الذي نشأت فيه. فالمصطلح التداولي لا يفهم فهماً دقيقاً إلا من خلال لغته الأصلية وسياقه التداولي، إذ إنّ الترجمة الحرفية غالباً ما تعجز عن نقل الحمولة المفهومية الكاملة. وقد أكد غير واحد من الباحثين أنّ ضعف التكوين اللغوي لدى المترجمين والباحثين يُعدّ من الأسباب الرئيسة في تعقيد الترجمة اللسانية الحديثة².

كما يعد التسرع في اختيار المقابل العربي من أبرز عوائق ترجمة المصطلح التداولي؛ إذ يسعى بعض المترجمين إلى إيجاد مقابل عربي سريع لمجارة السيل المتدفق من المصطلحات الغربية، دون إخضاع هذا المقابل للدراسة النقدية أو التداول الجماعي. وينتج عن ذلك تعدّد في المصطلحات، واختلاف في الاستعمالات، وغياب معيار واضح للاختيار، وهو ما ينعكس سلبيّاً على استقرار الدرس التداولي العربي³.

ويضاف إلى ما سبق ترجمة المصطلحات التداولية الحديثة بمصطلحات عربية تراثية مأخوذة من النحو أو البلاغة، مثل: المقام، القصد، الخبر، الإنشاء، دون مراعاة الفارق التاريخي والمعرفي بين السياقين. ورغم ما يتيح التراث العربي من إمكانيات اصطلاحية غنيّة، إلا أنّ إسقاط المصطلحات القديمة على مفاهيم حديثة

¹ عائكة حشاني، تعدد ترجمة مصطلحات اللسانيات التداولية في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة، ص 26

² عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 121.

³ أحمد المتوكل، قضايا في اللسانيات الوظيفية، ص 97.

قد يؤدي إلى خلط منهجي، ويُحمّل المصطلح التداولي دلالات لم تكن مقصودة في أصله الغربي. وقد أشار أحمد المتوكل إلى ضرورة التمييز بين الإفادة من التراث وإقحامه قسراً في مناهج حديثة. ومن العوائق الأخرى التي أشار إليها باحثون معاصرون غياب التنسيق المؤسسي في العمل الاصطلاحي؛ إذ إنّ جهود ترجمة المصطلح التداولي غالباً ما تظل فردية، متفرقة، وغير خاضعة لمشاريع جماعية أو معاجم موحدة¹. وقد نتج عن هذا الواقع تعدّد في المقابلات الاصطلاحية، وتفاوت في الاستعمال بين بلد وآخر، بل أحياناً داخل المرجع الواحد.

كما لا يمكن إغفال تأثير السرعة في نقل النظريات الغربية إلى اللسانيات العربية، دون المرور بمرحلة التمحيص والتمثّل النقدي، وهو ما جعل الترجمة تسبق الفهم في كثير من الأحيان. وقد نبّه صلاح فضل إلى أنّ الترجمة غير المصحوبة بوعي نقدي تتحول إلى نقل شكلي للمفاهيم، لا إلى استيعاب علمي منتج².

المبحث الثالث: المرجعية الفلسفية للتداولية:

لعل الحديث عن الإرهاصات الأولى لظهور الفكر التداولي المعاصر من الأمور الصعبة المستعصبة، ومرد ذلك أن هذا الدرس مدين لعدد من التيارات و النزعات الفلسفية المختلفة، حيث كان لهذه الأخيرة باع طويل لا يستهان به في مسألة تحريك عجلة نقل الدراسات الفلسفية التقليدية من طابعها التقليدي (السكوني و المعيارى) إلى طابع آخر قوامه الحركية، التواصل والاستعمال.

ان للتداولية جذور فلسفية كونه مدين لعدة تيارات ورافد منها: فلسفة اللغة، اسهامات شارل موريس، اسهامات شاندرز بيرس) وهي كالآتي:

1- فلسفة اللغة

إن مجيء المنهج الفلسفي كان بمثابة ثورة فلسفية أخذت على أعناقها توجيه الفكر الإنجليزي إلى بوتقته الأصلية المتمثلة في الاتجاه التجريبي الذي يقوم على التفاضل مع القضايا والإشكاليات³، و يتحقق هذا في إطار تجريب كل ما هو جزئي مباشر⁴. ولعل خير دليل على ذلك المقال الذي ثار فيه على الهيكلية والمثالية

¹ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص33

² محمد عناني، فن الترجمة، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص 61

³ مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998، ص23 ما بعدها.

⁴ مهران رشوان، المرجع نفسه، ص28.

الجديدة التي كانت سائدة آنذاك والتي كانت ترى أن العالم كل فريد لا ينقسم إلى أجزاء في حقيقته، وأي محاولة لتجزئته تشويه زائف ولا يوجد حقا سوى الواقع ككل وهو ما يسمى مطلق¹

و الجدير بالذكر في هذا المقام أن هذه النزعة الفلسفية ، إنما قامن على مبدأ عام قوامه أن اللغة هي السبيل الوحيد لفهم علاقاتنا بالعالم والبشر ، إذ " إن جميع الحالات الموضوعية لشؤوننا ، وجميع العلاقات الذاتية مع الأفراد والمجتمع ، و مع تاريخ الجنس البشري ، قائم على أساس لغوي إن أراد أن يكون له معنى . فالطابع اللغوي مرتبط دائما وأبدا بالفهم ، مادام المعنى الذي تنقله لنا اللغة لا يصير ملموسا إلا على هذا النحو . فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوما أولا هو اللغة.²

ولعل من أهم الرواد الفلاسفة الذين ساهموا في خلق هذه الثورة الفلسفية المناهضة للمثالية برتراند راسل³ Russell وجورج إدوار مور " GE Moore⁴ الذي يعد حسب تشارلزوت Charlesworth⁵ مؤسس حركة التحليل الفلسفي سنة 1903 في مقالة المذكور آنفا والذي ثار فيه على المثالية، ولودفيج فتغنشتاين⁶ Wittgenstein . وهذا الأخير هو الذي كان له الدور الفعال في انبثاق الآلية المهمة في النظرية التداولية وهي ظاهرة الأفعال الكلامية بحكم أن هذه النظرية.

كما يقول فان ديك VAN DICK تكاد تستلهم وجودها من المنطق، إذ تستنبط أساساً من فلسفة اللغة ونظرية أفعال الكلام بوجه خاص. وهو ما سوف نبينه بشيء من التفصيل لاحقاً.⁷

أما بالنسبة لأهم المرتكزات والدعائم التي اعتمدتها حركة التحليل وهي تتعامل مع الظواهر اللغوية والقضايا الفلسفية، فيمكن إجمالها حسب شوليموفسكي Sholimowski في ما يأتي:

أ - الاعتماد على دور اللغة، واعتبارها دعامة أساسية في التفكير الفلسفي

ب تفتت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزء / جزءا

ج - خاصيتها المعرفية

¹ فهي زيدان في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت 1985، ص44-45.

² حافظ إسماعيلي علوي ، التداوليات علم إستعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث الطبعة الأولى، 2011 ، ص35.

³ مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة ، ص32.

⁴ المرجع نفسه، ص28.

⁵ المرجع نفسه، ص29.

⁶ الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، (دت) ص20-21

⁷ ان ديك النص السابق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا، بيروت، 2000 ص255

د - اعتمادها على مبدأ البين ذاتية Inter Subjectivité أي المعالجة المشتركة بين الذات في عملية التحليل.

وعليه يمكننا القول أن الكثير من الفلسفات والأنساق الفلسفية تنهض على هذه المبادئ، ولكن المظهر الكفيل بزرع الحد الفارق بينها وبين الأنواع الفلسفية الأخرى هو اجتماعها معاً وفي آن واحد داخل إطار الفلسفة التحليلية .

اتبع الفيلسوف النمساوي لودفيج فتنغشتاين مقومات تيار الفلسفة التحليلية، وظهر ذلك جلياً في محاولته مع زميله "راسل" إقامة لغة مثالية¹ لحل القضايا الفلسفية،¹ وكان ذلك يصب في إطار نظرية سميها "النظرية الذرية المنطقية"² . ثم تراجع كل منهما عن النظرية والمحاولة باعتبار أن بالنظرية عيوباً وإن إقامة اللغة المثالية مشروع يستحيل تنفيذه، لذلك اتجهت جهوده إلى انتقاد مبادئ ومرتكزات الوضعية المنطقية وأسس اتجاهها جديداً أسمياه "فلسفة اللغة العادية"³ ، وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الإنسان العادي، وقد ظهر تراجع جلياً عن مشروع اللغة المثالية والنظرية المنطقية في كتابه الأبحاث الفلسفية Philosophical Investigation الذي لم ير النور إلا بعد وفاته⁴.

ثم انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى هي:

الوضعية المنطقية positivisme Logic بزعمارة رودولف كارناب

الظاهراتية اللغوية Phenomenologie du langage بزعمارة إدموند هوسرل.

فلسفة اللغة العادية Philosophie du Langage ordinaire بزعمارة فتنغشتاين.⁵

وهذا الاتجاه الأخير هو الذي مثل الإطار الفكري الذي انبثقت منه الفلسفة الأوستينية في اللغة، حيث انبثقت منها ظاهرة الأفعال الكلامية⁶ . والتي تعتبر من أهم محاور الدرس التداولي المعاصر، حيث أن هذه الظاهرة هي استمرارية وتطوير لنظرية الألعاب اللغوية التي أسس لها الفيلسوف فتنغشتاين⁷، وهكذا استطاع هذا الأخير أن يحتل موقعاً مهماً بين الفلاسفة الأوائل الذين كان لهم باع طويل في تطعيم الظاهرة اللغوية

¹ محمود فهمي زيدان في فلسفة اللغة دار النهضة العربية. بيروت 1985، ص43.

² المرجع نفسه، ص31.

³ محمود فهمي زيدان في فلسفة اللغة دار النهضة العربية، ص46

⁴ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى، تموز يوليو 2005، ص 22

⁵ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع مخالفة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، الجزائر 2009، ص50

⁶ الجبالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص18 ومابعد

ودراستها بالطابع الاستعمالي، وقد ظهر ذلك من خلال أعماله الأولى في المنطق والفلسفة والتي انتهت في 1918 حيث ركز على الوظيفة التمثيلية للغة التي تقوم على الاعتداد بتقييم الملفوظات من حيث صحتها وخطئها، كما ظهر أكثر تجليا في مؤلفاته اللاحقة التي راح يصور فيها تصورات جديدة في تلك المرحلة بحكم أنه كان ينفي القطيعة والانفصال بين اللغة والفكر، بل أكثر من هذا حيث دأب ينفي على تنفيذ بعض الادعاءات الفلسفية التي ألصقت بالفرد لغة خاصة وأثبتت أن الفرد يتبع في تراكيبه للغة عموم مجتمعه مستلزما على إثر ذلك بضرورة استبدال معنى التواصلية في اللغة، بالتعبيرية على أساس أن الوظيفة الأساسية التي تسند إلى اللغة ليست تمثيلا للعالم وتفسيراً له بقدر ما هي آلية للتأثير في الآخرين في إطار عملية التواصل.¹

وهنا ظهر اهتمامه الكبير بفكرة الاستعمال التي كانت بمثابة قطب رحي الفلسفة المعاصرة، وذلك من الاهتمام بالنموذج البنوي التركيبي إلى النموذج التداولي الاستعمالي. يقول فتغنشتاين متحدثا عن مهام الفلسفة: "... أي أنها في معركة ضد البلبلة التي تحدث في عقولنا نتيجة استخدام اللغة، فعقل الإنسان قد لا ينبه إلى استخدام اللغة نتيجة لافتنانه بها، الأمر الذي قد يؤدي إلى قيام المشكلات الفلسفية²، وأفضل دليل اعتمد عليه في تثبيت دعائم هذا التصور نظريته المشهورة "ألعاب اللغة التي طرحها في طيات كتابه" بحث في الفلسفة والمنطق 1921 الذي أفصح فيه عن مفهوم التلاعب بالكلام، وأصبح فيما بعد أحد دعائم ظهور التداولية ذلك أنه مرتبط بالمعنى الفعلي الذي منحه للملفوظات فهو قائم، إذا على ممارسة التأويل من خلال الأداء الفعلي للغة.³

لقد كان لهذا الطرح الفتغنشتايني أثراً كبيراً في سياق الفلسفة التحليلية وتياراتها الجديدة وخاصة ما أصبح يعرف في تاريخ الفلسفة المعاصرة بمدرسة "كامبردج" Cambridge ومدرسة أكسفورد Oxford أو مدرسة أفعال الكلام، وقد مثلتها بعمق نظريات كل من جون أوستين و جون سور المتعلقة بنظرية الأفعال الكلامية والتي تعتبر بحق أهم نظرية في الدرس التداولي المعاصر وأجهزته المفاهيمية.

¹ ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط (المغرب)، 1986، ص22-23.
² الزاوي نغورة الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2005، ص103.
³ خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية، ص 52.

2- إسهامات شارل موريس

تصب جهود شارل موريس Charles Moris في إطار البحوث الفلسفية التي راحت تدرس الدليل الذي حظي بمقاربات كثيفة من طرف الباحثين اللغويين ذوي النزعة الفلسفية وبحوث علم النفس السلوكي التي هيمنت على اللغة في وقت ما، باعتبار أن هذه البحوث الأخيرة تنظر إلى اللغة بوصفها نظاماً من السلوك يهيئ المتلقي إلى رد فعل ما.¹

إن المفهوم الذي أوكل للتداولية في العصر الحديث والمعاصر قد صدر من شارل موريس سنة 1938 عندما استخدمه للدلالة على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيميائية Semiotics وهو في إطار التمييز بين مجالات ثلاثة في دراسة اللغة وهذه الفروع هي:² (علم التركيب، وعلم الدلالة، والتداولية) ونحن هنا بصدد التطرق فقط إلى فرع التداولية كونه محل دراسة بحثنا الحالي

- **التداولية** وينهض مجال هذا العلم حسبه على "دراسة علاقة العلامات بمفسيها بمفسيها أو هي جزء من السيميائية، يعالج العلاقة بين العلامات بمستخدميها³، بمعنى أنها تركز على الإطار التواصلي في محاولتها لتحديد العلاقة القائمة بين الإشارة ومن يستخدمها في الاتصال اليومي العادي ووفق هذا الطرح؛ لا يمكن اعتبار أي جملة أو عبارة بنية شكلية معزولة عن سياقها (التواصلي / التداولي). وتعبير آخر هو مجال يُعنى بدراسة العلائق الحاصلة بين اللغة، وبين الناطقين بها، والمؤولين لها⁴. وانطلاقاً من هذا التحديد الذي أوكله موريس للتداولية يجعلها أحد الأسس القارة التي ينبنى عليها علم السيميائية يمكن الخروج بنتيجة مفادها أن العلامة حسب موريس تتجاوز مجالها اللسان إلى المجال السيميائي ومجالها الإنساني إلى مجالات أخرى المجال الحيواني الآلي، الطبيعي⁵.

لقد جعلت هذه النتيجة الفكرية التي انبثقت من إطار تقسيم موريس للسيميائية وجعله التداولية فرعاً منها إلى إعراض بعض الباحثين اللغويين عن هذا الطرح، كما هو الحال للباحث الجزائري: "نواري سعودي أبو زيد، الذي عزف عن تصنيف موريس بحجة أن هذا التصور قد يؤدي إلى إخراج الدراسة التداولية عن سبيلها وجديتها وجدواها في آن كما يعتبر أن إدراج التداولية ضمن النظرية السيميائية قد يؤدي بالباحثين العرب إلى

¹ المرجع نفسه، ص 56.

² واضح أحمد الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي، من القرن 3هـ إلى القرن 7هـ، مخطوط دكتوراه جامعة وهران، 2012، ص:

81

³ خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية، ص 52.

⁴ نواري سعودي أبو زيد في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، 2009، الجزائر، سطيف، ص 23

⁵ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 56.

اعتبار التداولية مجالا يقع تحت لواء علم العلامات أو السيمياء أي الانتقال إلى فضاء أرحب و أوسع يصعب تحديده إن الأمر الجوهرى في تدعيم فكرة التداولية وزرع خصوصياتها عند موريس هو ربطه المجال التداولي بمقاربة العلائق الحاصلة بين العلامات باستعمالاتها ومقاماتها وأطرافها التداولية، وينتج عن هذا الربط ضرورة الأخذ بالمعطيات المصاحبة للحدث الكلامي¹، لأن هذه العلامات لا تأخذ معناها الحقيقي إلا إذا تدعمت بالبعد الاستعمالي الذي يخضع للحثيات التي تحيط بالعملية التواصلية التفاعلية، وتبين مصداقية هذه الفكرة عند الباحث وهو يحاول تقفي استراتيجية خطائية تلائم الحثيات والظروف المحيطة بعملية تلقي المخاطب (بضم الميم)، كما تبين سلامة هذا المقتضى التصوري عندما يلجأ المخاطب إلى استثمار كل العناصر التي تحف بالإطار التواصلى، رغبة منه في الوصول إلى الفهم والتأويل الصحيح للتعبيرات المختلفة. وعليه ، يمكن اعتبار إسهامات موريس بمثابة بذرة جوهرية مهدت السبيل لظهور النظرية التداولية المعاصرة من خلال ترسيخ بعض المفاهيم الجديدة في الدراسات اللغوية كالاستعمال والمستخدمين والمؤولين والإطار التواصلى والسياق الاجتماعى، وكل ذلك أهله (موريس) للخلوص "إلى تعريف تداولي للغة، بأنها نشاط تواصلى أساساً، ذا طبيعة اجتماعية وفي هذا دلالة صريحة وواضحة على أن الفلسفة الموريسية في هذا المضمار إنما قامت على أبعاد إستعمالية ساهمت بتحريك وخلق الأفق التواصلى (الوظيفي) الذي نراه يشكل بحق نواة الفكر التداولي المعاصر².

3-إسهامات تشارلس ساندروز بيرس

تعتبر السيمياء عند بيرس ذات طابع شمولي، بحكم أنه لا يرى أنه بالإمكان دراسة أي علم إلا في إطارها . حيث يقول "لم يكن بوسعي أبداً دراسة أي شيء كالرياضيات الأخلاق والميتافيزيقا اقتصاد.... إلا عن طريق الدراسة السيميائية ووفق هذا التأسيس فإن السيمياء حسب بيرس تمثل منطقاً شاملاً عاماً يستوعب كل القضايا والظواهر والاختصاصات العلمية. كما يسعى في الوقت نفسه إلى إقامة قواعد تفيد التمييز السليم بين كل ما هو صحيح وما هو خاطئ، "إن المنطق بمعناه العام هو علم الفكر الذي تجسده العلامات، إنه بصيغة أدق السيمياء العامة أي أنه يساوي بين المنطق والسيمياء³.

¹ سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، ص 24

² واضح أحمد ، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي ، من القرن 3هـ إلى القرن 7هـ ، مخطوط دكتوراه، جامعة وهران ، 2012، ص84.

³ المرجع نفسه، ص84

وقد ظهرت النزعة التداولية في أعماله مع ظهور مقاله "كيف نجعل أفكارنا واضحة عام 1978، وقد انطلق من سؤال جوهرى يقيم عليه دعائمه مفاده متى يكون للفكرة معنى وعلى إثر هذا المعطى دأب على دراسة الدليل وأثبت إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذوات والنشاط الاجتماعي "إن الواقع المدلول عليه يفترض تجربة إنسانية مبنية لا على ما هو فردي بل على ما هو اجتماعي، ومن هنا بدأت أفكاره المتجهة للعلامات تأخذ طابعا منفصلاً في مجالين أساسيين لا ثالث لهما وهما التجربة والمجتمع¹.

إن أي نظرة تفحصية حصيفة لهذه الفرضية العلمية التي تنبأها بيرس تكشف بما لا يدع مجالاً للشك على بؤادر أفق إنتقالي يأخذ بيد حياة العلامات إلى مجال يضع نصب أعينه تلك الممارسات والأنشطة اللغوية بما تحمله من معان ودلالات إلى منهج علمي حقيقي قوامه التجربة التي تأخذ جوهرها من الممارسة اللسانية المحتكة بالواقع الخارجي وما يحمله من تفصلات سياقية ديناميكية متحركة وهذا هو سرّ ومرد قناعته بأن الكيفية المناسبة والفعالة لجعل أفكارنا أكثر وضوحاً متعلقة بتنفيذها على الواقع وقياس النتائج المترتبة عنها أي النزوع إلى ما هو منفعي بالدرجة الأولى وهو ما مثل أحد الركائز التي تنبأها التداولية².

وفي هذا الإطار المعنى بدراساته المتعلقة بالإشارة بحث عن الطرق التي يتم بواسطتها التواصل الفعال المنظم بين بني البشر لينكشف له في النهاية أن التداولية فرغ مهم من السيميائيات وذلك فيما كتبه وعبر عنه في تلخيصه الإطار العام، وذلك أن اللسانيات المتداولة تفترض كلاً من الدراسة التركيبية والدلالية وانطلاقاً من هذا التخرّيج فإن التداولية حسب بيرس هي أداة مهمة يمكن من خلالها نقل الواقع، كما يمكن اعتبارها وسيلة من وسائل المعرفة والاتصال، ومنهج لجميع ميادين المعرفة، ويظهر ذلك جلياً في إطار إرجاعه تحديد العلامة اللسانية بتحديداتها التداولية الاستعمالي في تنسيق مع علامات أخرى من طرف أفراد جماعة معينة³.

وعليه يمكن فهم أ. ماس . Masse وفندر ليش D. Venderlich في كتابهما الموسوم ب Pragmatics and sprachlichers فهما لو سطحيا حين أرجعا البدايات والجذور الفعلية للفكر والدرس التداولي المعاصر إلى أربعة أصول أساسية كان من بينها الدرائعية الأمريكية Pragmatisme التي أسست على يد "شارلس سنדרز

¹ محمود احمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ، ص 09.

² الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص41

³ ميجان الرويلي، سعد اليازعي دليل النقاد الأدبي، إضافة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، المركز الثقافي ، الطبعة الثانية، 2000، الدار البيضاء، ص102.

يبرس في سنة 1905 والتي أدت وبطريقة مباشرة إلى تحطيم مقولات الفلسفة المثالية والعقلانية التي دأبت على التنظير لأن هذا النوع من التصور يفضي على تعددية العالم نظاماً واحداً¹.

ثانياً: المرجعية اللسانية للتداولية

ناقش الباحثون العلاقة بين التداولية واللسانيات، ويعزى هذا الاختلاف إلى التداخل بين حقولها من جهة وحقول معرفية من جهة ثانية فكما نعلم أن التداولية ارتبطت باتجاهين مختلفين الأول يهتم بالجانب الاستعمالي للغة في سياقات مختلفة فيحاول تجاوز الطرح المتوارث للبنية اللغوية من أجل الكشف عن الوظيفة العملية للغة والثاني منطلقه فلسفي.

ومما لا شك فيه أن التداولية واللسانيات تشتركان معا في الاشتغال على موضوع واحد وهو اللغة، فالتداولية هي قاعدة كل اللسانيات كما وصفها "كارناب"² فأبي لسانيات بالضرورة تداولية مادامت تحيل على المتكلم وحتى على مفهوم القاعدة بمأن كل قاعدة يوجد لها الاستعمال³، وهذا يعني أن التداولية حاضرة في كل تحليل لغوي. وتجدر الإشارة إلى أن دراسة اللغة دراسة تكاملية يتم بتظافر الاتجاهين الذين عرفتهما الدراسات اللغوية وهما:

-اتجاه الدراسات الشكلية للغة التي تدرس النظام اللغوي معزولاً عن سياق التواصل الاجتماعي والتي تنجز في مستويات اللغة المعروفة (تركيبية نحوي ودلالي و صرفي) وفيه شقين : الشق البنيوي : (دراسة اللغة في حد ذاتها معزولاً عن السياق الذي أنتجت فيها وعلاقتها بالمرسل) والشق الثاني توليدي تحويلي (تفسير الظاهرة اللغوية في عمقها قبل الإنجاز اتجاه دراسات اللغة في السياق التواصلية؛ ومن سماته رصد خصائص بنية اللغة الطبيعية وربطها بوظيفتها في التواصل والتوصل إلى أن قدرة طرفي الخطاب التواصلية تكمن في معرفة القواعد العامة التي تمكنهما من تحقيق أهداف التواصل وتأويل الخطاب ومنها قواعد اللغة في مستوياتها المعروفة ، وهذه الدراسة التكاملية تتم من خلال منهج توفيقى وهو المنهج التداولي³.

فالباحث التداولي يدرس اللغة بالتركيز على مجالات اشتغالها وسياقات استعمالها؛ أي الاهتمام بالمتخاطبين وسياق استعمال اللغة، هذا إلى جانب اهتمامه بالجوانب الشكلية للأبنية اللسانية والدلالية.

¹ المرجع نفسه، ص102

² فيليب بلانشيه التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية، ط1، 2007 ص33

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1 ، 2004 ، ص 10 - 11

وبوقوفنا عند اهتمامات اللسانيات والتداولية نجد أنفسنا أمام عتبات المفارقة والحدود، فالنظريات اللسانية اهتمت بـ:

-دراسة اللغة كبنية أو كنظام معزول عن سياقه.

-اختصار الدراسة على البنى والأشكال اللغوية وإبعاد دراسة المعنى.

-عدم تجاوز الجملة كأعلى مستوى للدراسة اللغوية.

-إهمال الظواهر الكلامية باعتبارها أشياء عارضة وفردية، وبالتالي لا تصلح أن تكون موضوعا للبحث اللغوي.

انطلاقا من هنا جاءت التداولية كردة فعل على هذه التوجهات وما أفرزته من تصورات صورية مبالغ فيها و كذلك الغلو في الاعتماد عند وصف الظواهر اللغوية على التقابل المشهور الذي وضعه دي سوسير بين اللغة والكلام حيث أبعد الكلام الذي يمثل الاستعمال الحقيقي للغة ونظامها فعرفت التداولية بأنها دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تعنى به تحديد اللسانيات وهذا التحديد يعكس ما أولته النظريات اللسانية من عناية ضعيفة لاستعمال النظام اللغوي وتركيزها على دراسة النظام اللغوي بمكوناته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وعليه فالاختلاف بين التركيب والدلالة من جهة والتداولية من جهة أخرى هو تقابل بين النظام اللسان (واستعمال هذا النظام¹).

كما يمكن أيضا ان نطلق من التقابل بين الجملة والقول لنحدد مجال دراسة كل اتجاه " باعتبار أن الجملة موضوع لساني فهي تتحدد أساسا ببنيتها التركيبية وبدلالاتها التي تحتسب على أساس دلالة الكلمات المكونة لها وضمن هذا الفهم فإن الجملة كيان مجرد وهي نتاج نظرية إلا أن المتخاطبين عند التواصل لا ينتجون جملا بل يتبادلون أقوالا ... فالقول إذن نتاج إلقاء جملة ما، فإذا كانت الجملة موضوع اللسانيات فإن القول موضوع التداولية.²

وقد عدت التداولية فرعا لسانيا وامتداد لها، لكنها ليست صورة تطابقية بكافة أدواتها الإجرائية مع اللسانيات السابقة عليها كما أنها ليست سلة المهملات اللسانيات بل "أداة لتبسيط اللسانيات " حيث تعتبر كل ظاهرة عجزت اللسانيات عن حلها مجالا للبحث التداولي وهذا يقتضي أن الظواهر التي تدرسها التداولية ليست

¹ طالب خولة، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، القصبة، د ط، 2000، ص 170

² مرتضى جبار كاظم اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، دار الأمان، الرباط، ط 1 ، 2015، ص19

مهملة ولا متروكة بالضرورة ومن ثم فهي تقوم بإزالة الغموض عن التواصل اللغوي وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات وهذه القضايا ليست من اهتمامات اللسانيات الصريحة "وهذا يعني أن التداولية لا تقف عند البنية اللغوية ذاتها بل تتجاوزها إلى دراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة" فبمجرد أن ينتهي عمل اللساني في دراسة اللغة (البنية) يظهر إسهام التداولي في تملّي الأبعاد الحقيقية لتلك البنية المعلنة مغلقة وتنفسح من ثم على الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية للمتكلم والمتلقي والجماعة التي يجري فيها التواصل ، مع احتساب مجموع السنن الذي يحكمه وهذا ما يقنعنا بأن التداولية فعلا استطالة للسانيات¹.

وفي إطار هذا التداخل بين هذه المجالات يشار إلى أعمال بنفنيست² التي دشنت المشروع اللسانيات التداولية لاشتغال هذه الأعمال على توسيع موضوع البحث اللساني والانتقال من دائرة اللغة إلى دائرة التلفظ والاشتغال على الحدث الكلامي وسياقه المقامي وأدوات إتمامه والجوانب الشخصية للفرد المتكلم والمتلقي ليتم الانتقال من لسانيات اللغة إلى لسانيات التلفظ².

وقد أدرج الكثير من الباحثين التداولية ضمن الحقل اللساني باعتبارها "الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات،³ وعلى رأسهم طه عبد الرحمن" الذي قسم اللسانيات إلى ثلاث أقسام هي:

-الداليات وهي الدراسات التي تختص بوصف - وإن أمكن بتفسير - "الدال" الطبيعي في نطقه وصوره وعلاقته؛ وبهذا تكون الداليات شاملة للمكونات الثلاثة : الصوتيات، والصرفيات، والتركيبات".

الداليات وهي الدراسات التي تختص بوصف وإن أمكن بتفسير العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعيانا في الخارج.

-تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها وبين الدالين بها.⁴ التداوليات وهي الدراسات التي تختص بوصف وإن أمكن بتفسير العلاقات التي

ويمكن أن يشار في إطار الحديث عن تنامي الدراسات التداولية وعدها جزءا من اللسانيات إلى إنشاء (الجمعية التداولية) العامة ipra في إنترويت عام 1987، إذ تؤكد وثائقها الرسمية أنها اقترحت إدراج التداولية في

¹ جاك موشر - وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، المركز الوطني للترجمة، تونس، د ط، ص 27.

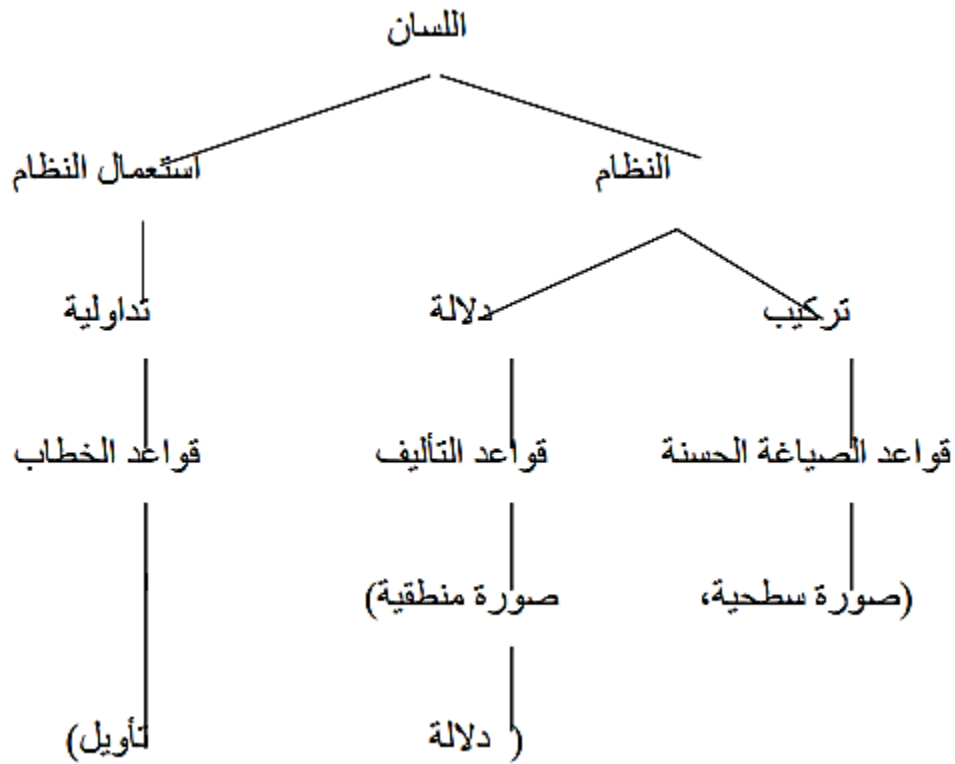
² جاك موشر - وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص 26.

³ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 27

⁴ أبو زيد، نوري سعودي المنهج التداولي في مقارنة الخطاب المفهوم والمبادئ والحدود، بحوث ومقالات، ص 124

النظرية اللسانية، كما أكدت على ضرورة أن يكون اشتغال التداولية على أوسع نطاق، ليشمل استعمالات اللغة في كل جوانبها ¹.

ويمكننا تمثيل موقع التداولية بالنسبة إلى اللسانيات بالرسم الآتي:



هذا المخطط يعكس ما أولته النظريات اللسانية البنيوية والتوليدية من عناية ضعيف لاستعمال النظام اللغوي وتركيزها على دراسة النظام اللغوي بمكوناته الصوتية الصرفية النحوية والدلالية (وعليه يجب إتمام الدلالة اللسانية وهذا هو دور التداولية التي أن تقدم تأويلا تاما للجملة " ² نظرا لعدم كفاية الدراسة الشكلية - سواء أكان ذلك من حيث التركيب أم من حيث الدلالة المنطقية لإظهار خصائص اللغة التي تتجلى من خلال المنجز التلفظي في سياق معين وهذا يعني التركيز على عناصر العملية التخاطبية المرسل والمرسل إليه ودورهما في تشكيل الخطاب وتأويله .

¹ مرتضى جبار كاظم اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، ص19

² جاك موشر - وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص30.

ثالثاً: مفهوم اللغة بين التمثيل والفعل

شكل مفهوم اللغة أحد أهم محاور الجدل الفلسفي واللساني في الفكر الغربي الحديث، إذ ظل لفترة طويلة ينظر إلى اللغة بوصفها نظاماً تمثيلاً يعكس الواقع أو ينقله، قبل أن يتحوّل هذا التصور تدريجياً نحو اعتبارها فعلاً تواصلياً ينجز به المتكلم أفعالا اجتماعية وتداولية داخل سياقات مخصوصة وقد كان لهذا التحوّل العميق أثر بالغ في تمهيد الطريق لظهور التداولية باعتبارها مجالاً يدرس اللغة في علاقتها بالاستعمال لا في بنيتها المجردة فقط.

1. اللغة بوصفها تمثيلاً للواقع

ارتبط التصور التمثيلي للغة بالفلسفات العقلانية والوضعية، التي اعتبرت اللغة أداة لنقل الأفكار وتصوير الوقائع الخارجية. ففي هذا المنظور، تكون العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة إحصائية مباشرة، حيث تُفهم اللغة باعتبارها مرآة للواقع أو وعاءً للفكر. وقد انعكس هذا التصور في اللسانيات البنيوية خاصة مع أعمال فرديناند دي سوسير، الذي ميز بين اللغة باعتبارها نظاماً من العلامات والكلام بوصفه تحققاً فردياً لهذا النظام، مما أدى إلى تركيز الدرس اللساني على البنية والقواعد وإقصاء السياق والاستعمال¹.
إذ كان اهتمام اللسانيات منصبا على وصف العلاقات الداخلية بين الوحدات اللغوية مع إغفال دور المتكلم والمخاطب والمقام التواصلية. فاللغة، وفق هذا التصور، تُدرّس بمعزل عن نوايا المتكلمين وآثار الخطاب وهو ما جعلها تبدو نشاطاً ذهنياً محضاً لا فعلاً اجتماعياً.

2. الانتقال من التمثيل إلى الفعل

ابتداء من منتصف القرن العشرين، بدأت تتبلور رؤية جديدة للغة داخل الفلسفة التحليلية خاصة مع أعمال جون لانغشو أوستن الذي أحدث قطيعة مع التصور التمثيلي التقليدي حين أكد أن اللغة لا تُستعمل فقط لوصف العالم، بل لإنجاز أفعال محددة، فقد بيّن أن بعض الأقوال لا تقيم بالصدق أو الكذب بل بمدى نجاحها أو فشلها، مثل الوعد، والأمر، والاعتذار، والتسمية². وقد يعد هذا المنظور لم تعد اللغة مجرد وسيلة

¹ فرديناند دي سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة: يوسف وغليسي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 1985، ص 33
² John L. Austin, How to Do Things with Words, Oxford University Press, 1962, pp. 38

للإخبار، بل أصبحت أداة للفعل والتأثير، تُنجز بها أفعال اجتماعية وقانونية وأخلاقية وقد طور جون سيرل هذا التصور، مبرِّزاً أن التلفظ اللغوي يتضمن أبعاداً متعددة: فعل القول، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، وهي أبعاد لا يمكن فهمها إلا في ضوء السياق وقصدية المتكلم¹.

3. اللغة كفعل تواصلية وسياقية

أدى هذا التحول من التمثيل إلى الفعل إلى إعادة تعريف اللغة بوصفها نشاطاً تداولياً يتأسس على التفاعل بين المتكلمين داخل وضعيات تواصلية محددة، فاللغة وفق هذا التصور ليست نظاماً مغلقاً بل ممارسة اجتماعية تتأثر بعوامل السياق، والعلاقات بين الأطراف والمعايير الثقافية، وقد مهد هذا الفهم الطريق أمام التداولية التي جعلت من الاستعمال والسياق مركزاً للتحليل.

وبذلك لم يعد المعنى خاصية ثابتة في اللفظ، بل نتيجة لتفاعل معقد بين البنية اللغوية والمقام التداولي، وهذا ما يفسر اهتمام التداولية بدراسة القصد والافتراض المسبق والضمنيات والأفعال الكلامية، باعتبارها مظاهر تؤكد أن اللغة تفعل بقدر ما تمثل².

4. أثر هذا التحول في تأسيس التداولية

إن إعادة النظر في مفهوم اللغة من زاوية الفعل لا التمثيل شكلت الأساس الفلسفي الأبرز لظهور التداولية، فقد ساهم هذا التحول في نقل الدرس اللساني من تحليل البنية إلى تحليل الاستعمال ومن وصف القواعد إلى فهم الأفعال التي ينجزها المتكلمون عبر اللغة³، وعليه إن التداولية لم تظهر فجأة بل كانت نتيجة تطور فكري عميق أعاد تعريف ماهية اللغة ووظيفتها داخل المجتمع.

رابعاً: التحليل التداولي

جاءت اللسانيات التداولية لتسليط الضوء حول نقطة هامة، وهي عنصر الاتصال بين أطراف التخاطب، "ومهما غلبت سمة التواصل على اللغة فهي ليست مجرد أداة للاتصال، بل تمثل نسج تعبيرات ثقافية، وهي الحامل للهوية والقيم ورأي العالم، وهي وعاء التنوع الثقافي والحوار بين الحضارات، وتمتد الجسور لتوثيق العلاقة

¹ John R. Searle, Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language, Cambridge University Press, 1969, pp. 16

² مسعود صحراوي، التداولية عند العرب: دراسة تأصيلية تداولية، دار الطليعة، بيروت، 2005، ص 21

³ عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، دار توبقال، الدار البيضاء، 1996، ص 112

بين المجتمعات، وإثراء تنوع أشكال التعبير نحو التفاعل والتبادل للدعم والتمكين، وتقع اللغة العربية في صميم هذا التوجيه، لما لديها من مخزون لفظي وتركيبات لفظية ومصطلحات¹.

وعليه فإن الاتصال يساهم في بلورة فكر الفرد من خلال تنمية روح التواصل بين مختلف الثقافات التي يمثلها الأفراد المتحاورون وبالتالي الإسهام في التفاعل من خلال استخدام الزخم المفرداتي، وفق أساليب وعبارات لغوية متنوعة.

تمخض الدرس اللساني التداولي من رحم الفلسفة التحليلية، وامتزج بالدرس اللساني الغربي فالتداولية ظهرت ضمن الفلسفة التحليلية، في إطار جدل يتعلق بمهام الفلسفة عموماً، وفي نطاق نقد المناطق لما كانوا يعدونه نقصاً في الألسنة الطبيعية، التي تلقف اللسانيون بعض هذه الفرضيات وأقحموها في وصف النظام اللغوي، ونتج عن هذا الإدماج ما يسمى بالتداولية المدججة².

إن للفلسفة التحليلية جزيل الفضل في ولادة لسانيات تداولية تحتم بالعملية التواصلية بالتركيز على الأطراف المتحورة والسياق معاً. وعلى هذا الأساس قد قسمنا سياق التحليل التداولي في كونها انما:

— من مركزية الحقيقة إلى مركزية الاستعمال (التحولات الفلسفية)

شهد الفكر الفلسفي الغربي، خلال النصف الأول من القرن العشرين، تحولاً ملحوظاً في نظره إلى اللغة، حيث لم يعد الاهتمام منصبا على مطابقة القول للواقع فحسب، بل على كيفية استعمال اللغة داخل الممارسة اليومية وقد مثل هذا التحول ما يعرف بـ«المنعطف اللغوي» في الفلسفة، خاصة مع الفلسفة التحليلية.

ففي المرحلة الأولى، ركزت الفلسفة الوضعية والمنطقية على تحليل اللغة من حيث بنيتها المنطقية وشروط صدقها، غير أن هذا التوجه تعرض لاحقاً للنقد، خصوصاً مع أعمال لودفيغ فيتغنشتاين في مرحلته المتأخرة، حيث اعتبر أن معنى اللفظ لا يفهم إلا من خلال استعماله في سياق «ألعاب لغوية» تحكمها قواعد اجتماعية³. وقد فتح هذا التصور المجال أمام التفكير في اللغة بوصفها ممارسة اجتماعية لا مجرد نسق صوري.

¹ أنصر محمد الصالح، تداولية اللغة العربية في الأوساط الطبية الواقع والأفاق، أعمال ملتقى ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج3، ص125

² علي الصالحي، مقارنة تداولية لمشكلات الفواصل القرآنية مجلة فصلية محكمة تعي بالقضايا الثقافية والعلمية، اللغة العربية، ص176

³ Ludwig Wittgenstein, Philosophical Investigations, Blackwell, Oxford, 1953, §§ 43

نقد النموذج البنيوي المغلق (تطور اللسانيات)

على المستوى اللساني، هيمنت البنيوية — خاصة في صورتها السوسيرية — على الدرس اللغوي لعقود، وركزت على وصف النظام اللغوي الداخلي، مع إقصاء السياق والاستعمال. غير أن هذا النموذج أظهر محدوديته في تفسير الظواهر الخطابية والمعنوية المرتبطة بالفعل التواصل، مثل الإيحاء، والضمنية، والقصد.

ومع بروز اتجاهات جديدة، بدأت اللسانيات تفتح على مجالات أخرى، فظهرت اللسانيات النصية، ولسانيات الخطاب، واللسانيات الاجتماعية، وكلها أسهمت في تهيئة المناخ المعرفي الذي سمح للتداولية بالظهور، باعتبارها علمًا يربط بين البنية اللغوية وشروط استعمالها في الواقع الاجتماعي¹.

إسهام المنطق وفلسفة اللغة العادية

كان للمنطق الحديث وفلسفة اللغة العادية دورٌ حاسم في تشكّل التحليل التداولي، خاصة من خلال نقد التصور القائل إن الجمل تُفهم فقط من خلال بنيتها التركيبية أو قيمتها الصدمية. فقد أبرز فلاسفة اللغة العادية أن كثيرًا من الاستعمالات اللغوية اليومية لا يمكن تحليلها بالأدوات المنطقية الصورية.

وفي هذا السياق، جاءت نظرية الأفعال الكلامية مع جون لانغشو أوستن، التي بينت أن التلفظ نفسه يُعدّ فعلًا، وأن اللغة تُستخدم للإنجاز لا للوصف فقط². وقد أسهم هذا الطرح في توسيع مجال التحليل اللغوي ليشمل أبعادًا سياقية وتفاعلية، مما مثّل نواة صلبة للتحليل التداولي.

البعد الاجتماعي والمعرفي للغة

إلى جانب الفلسفة واللسانيات، ساهم علم الاجتماع وعلم النفس المعرفي في بلورة السياق العام لظهور التداولية، من خلال التأكيد على أن التواصل اللغوي فعل اجتماعي تحكمه أعراف ثقافية وعلاقات بين المتكلمين. فاللغة لا تُنتج في فراغ، بل ضمن أوضاع تواصلية تتداخل فيها السلطة، والنية، والمعرفة المشتركة. وقد أدى هذا الوعي إلى إعادة النظر في مفهوم المعنى، الذي لم يعد يُفهم بوصفه كيانًا ثابتًا، بل بوصفه بناءً تفاعليًا يُنتج داخل السياق، وهو ما تبنته التداولية بوصفها منطلقًا أساسيًا في تحليل الخطاب³.

¹ عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 98

² مسعود صحراوي، التداولية عند العرب: دراسة تأصيلية تداولية، ص 17

خلاصة:

انطلاقاً مما سبق، يمكن القول إن التحليل التداولي هو نتاج سياق معرفي تراكمي، تداخلت فيه الفلسفة التحليلية، واللسانيات الحديثة، والمنطق، والعلوم الاجتماعية وقد مكن هذا السياق التداولية من تجاوز النظرة الاختزالية للغة، وتأسيس مقارنة شمولية تدرس اللغة في علاقتها بالفعل، والسياق، والمقاصد التواصلية. وبذلك، لم يكن ميلاد التداولية قطيعة تامة مع ما سبقها، بل تطوراً طبيعياً فرضته الحاجة إلى فهم أعمق لوظائف اللغة في الحياة الإنسانية..

³ علي القاسمي، اللغة والتواصل، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص 55

الفصل الثاني :

قراءة في الجهود اللغوية عند مسعود صحراري

تمهيد

تعتبر التداولية من أهم المباحث اللغوية المعاصرة التي نقلت الدرس اللساني من الانغلاق داخل البنية التجريدية للغة إلى فضاء الاستعمال الحي والسياق التواصلية. وفي الساحة الأكاديمية الجزائرية والعربية، برزت أسماء نذرت جهودها لتقريب هذا الوافد المعرفي وتبيينه، ومن أبرز هذه القامات العلمية نجد الدكتور مسعود صحراوي، الذي قدم قراءة عميقة ومؤصلة لمسار التداولية

يهدف هذا الفصل إلى تسليط الضوء على منجزاته العلمية من خلال كتابه "لحظة ميلاد التداولية"، وذلك عبر تتبع منهجية طرحه، وتحليل قراءته لنظريات الأفعال الكلامية، واستكشاف رؤيته في ترجمة المصطلح التداولي ومحاولة إيجاد جذوره في التراث اللغوي العربي.

المبحث الاول: بطاقة فنية لكتاب لحظة ميلاد التداولية

قبل الخوض في غمار التحليل النقدي والمفاهيمي لمحتوى الكتاب، يستوجب المقام المنهجي الوقوف عند المرتكزات الظاهرية والسياقية لهذا المؤلف. فالبطاقة الفنية للكتاب ليست مجرد مجرد وصفي، بل هي استنطاق للمحيط العلمي الذي نشأ فيه العمل، وبحث في سيرة واضعه التي تشكلت بين أوراق الجامعة الجزائرية ومخابر البحث اللساني. سنسعى في هذا المبحث إلى تقديم صورة وافية عن شخصية المؤلف العلمية، ثم الانتقال لوصف الكتاب من حيث بنيته المادية ومنهجه العام، وصولاً إلى استجلاء الإسهامات التي أضافها صحراوي للمكتبة التداولية¹.

اولاً: التعريف بالمؤلف مسعود صحراوي

يستدعي المقام عند محاولة الإحاطة بجهود الدكتور "مسعود صحراوي" العودة إلى منابته الأولى ومساره التعليمي الذي صقل ملكته اللسانية، فهو أحد أبرز الوجوه الأكاديمية الجزائرية التي اشتغلت على تبيين المفاهيم التداولية في التربة العربية.

1. النشأة والمسار التعليمي :

ولد الدكتور مسعود صحراوي في ولاية سطيف بالجزائر، وفيها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي، حيث ظهر شغفه المبكر باللغة العربية وآدابها. انتقل بعدها لمواصلة مساره الجامعي، حيث حصل على شهادة الليسانس، ثم الماجستير، وصولاً إلى نيله درجة "دكتوراه الدولة" في اللسانيات². وقد تركزت أبحاثه منذ بداياتها على إشكالات الخطاب واللسانيات الحديثة، مع اهتمام خاص بمنجزات المدرسة الغربية وكيفية قراءتها عربياً.

2. الحياة المهنية والمناصب الأكاديمية

انخرط الدكتور صحراوي في سلك التعليم العالي منذ سنوات طويلة، حيث اشتغل أستاذاً لللسانيات والتداولية في عدة جامعات جزائرية، أبرزها جامعة "الأغواط" وجامعة "وهران". تدرج في الرتب العلمية حتى نال درجة "أستاذ التعليم العالي (Professeur)" وإلى جانب التدريس، ساهم في الإشراف على عشرات المذكرات والأطاريح

¹ ينظر: رابح بوحوش، اتجاهات الدراسات اللسانية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007، ص 184.

² ينظر: محمد جاد الرب، التداولية في الفكر العربي المعاصر: قراءة في المنجز الجزائري (مسعود صحراوي نموذجاً)، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة تلمسان، المجلد 09، العدد 02، ديسمبر 2018، ص 215.

الجامعية، وعمل عضواً فاعلاً في لجان علمية ومخابر بحثية تعنى بقضايا المصطلح اللساني، مما منحه خبرة ميدانية في رصد الفجوات المعرفية لدى الباحثين الشباب في مجال التداوليات¹.

3 التوجه العلمي والإنتاج الفكري

تتركز اهتمامات صحراوي في منطقة التقاطع بين اللسانيات المعاصرة والتراث اللغوي العربي. فهو لا يرى التداولية مجرد "موضة" فكرية وافدة، بل يبحث عن جذورها العميقة في كتب الأصوليين والبلاغيين العرب. ولعل أبرز ما يميز شخصيته العلمية هو "الدقة المصطلحية"؛ حيث يرفض الاستسهال في ترجمة المفاهيم، ويصر على تتبع المفهوم منذ لحظة ميلاده في البيئة الغربية (كما فعل مع أوستين وسيرل) قبل محاولة نقله للغة العربية. بالإضافة إلى كتابه "لحظة ميلاد التداولية"، له مؤلفات هامة أخرى منها كتاب "التداولية عند العلماء العرب" الذي يعد مرجعاً أساسياً في بابه².

4. الحالة الراهنة

خلافاً لما قد يتبادر للأذهان عند دراسة الرواد، فإن الدكتور مسعود صحراوي لا يزال يمارس نشاطه العلمي والأكاديمي، ولم يثبت في السجلات الأكاديمية أو المهنية رحيله، بل هو مستمر في إثراء المكتبة اللسانية ببحوثه ومشاركاته في الملتقيات الدولية، مما يجعل دراسة فكره دراسة لمعاصرٍ يشهد ويشترك في تطورات الدرس اللساني الراهن³.

ثانياً: الوصف العلمي للكتاب

اعتبر كتاب "لحظة ميلاد التداولية (أو اللسانيات التداولية)" للدكتور مسعود صحراوي من المصنفات التي أحدثت حراكاً في الجامعة الجزائرية، نظراً لمنهجيته الصارمة في تتبع الجذور الفلسفية والمنطقية للدرس التداولي. وفيما يلي وصف دقيق لهذا المنجز العلمي:

1. المظهر الخارجي وبيانات النشر:

¹ مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، الجزائر، 2005، ص 05 وما بعدها.
² ينظر: محمد سلطاني، الدرس التداولي بين التأصيل النظري والتمثيل الإجرائي: مقارنة في جهود الدكتور مسعود صحراوي، مجلة لسان العرب، جامعة وهران، العدد 06، 2017، ص 12.
³ ينظر: سيرة الباحث الأكاديمية، بوابة المجالات العلمية الجزائرية (ASJP)، جامعة وهران 1، تاريخ الاطلاع: 28 أبريل 2026.

صدر الكتاب في طبعته الأولى عن "منشورات الاختلاف" بالجزائر، بالتعاون مع "الدار العربية للعلوم" ببيروت، وذلك في عام 2005م. يقع الكتاب في حدود (180 إلى 190 صفحة) من القطع المتوسط، وتصدر غلافه عنوان فرعي شارح وهو "اللسانيات التداولية"، مما يشير منذ البداية إلى رغبة المؤلف في تأطير التداولية ضمن الحقل اللساني الأوسع، وليس فقط كفرع هامشي من فروع الفلسفة التحليلية.

2. الهندسة المعمارية للكتاب (الأبواب والفصول):

اعتمد صحراوي في بناء كتابه على هيكلية منطقية تتدرج من العام إلى الخاص، ومن التاريخي إلى التحليلي. استفتح الكتاب بمقدمة مركزة طرح فيها إشكالية المصطلح وتعدد التسميات (تداولية، براغماتية، نفعية)، ثم قسم العمل إلى فصول كبرى، حيث خصص الحيز الأكبر منه لنظرية "الأفعال الكلامية".

- تتبع في القسم الأول الإرهاصات الأولى لظهور التداولية، مفرقاً بين الجانب الفلسفي والجانب اللساني.
- أفرد مساحة واسعة لتحليل أعمال "جون أوستين (John Austin)" وكتابه "كيف نصنع الأشياء بالكلمات"، ثم انتقل لمرحلة التطوير مع "جون سيرل (John Searle)".
- ختم الكتاب بآفاق تطبيقية ومقاربات تربط هذه النظريات بالواقع اللغوي، مع تذييل العمل بقائمة ثرية من المصادر والمراجع باللغتين العربية والأجنبية¹.

3. المنهج العلمي المتبع

تميز المنهج عند صحراوي بكونه "منهجاً تاريخياً تحليلياً" بامتياز. فهو لا يقدم النظريات كقوالب جاهزة، بل يستنطق سياق ظهورها (لحظة الميلاد)، ويبحث في الأسباب التي جعلت الفلاسفة واللغويين ينتقلون من دراسة "بنية الجملة" إلى دراسة "مقصدية المتكلم". كما اتسم أسلوبه بالنزعة النقدية؛ فهو يناقش الترجمات العربية السابقة للمصطلحات التداولية، ويقترح بدائل يراها أكثر دقة وملاءمة للسان العربي، مستخدماً لغة واصفة (Métaleptique) عالية المستوى².

4. الخصائص الأسلوبية واللغوية:

¹ ينظر: بو عافية فتيحة، قراءة في كتاب لحظة ميلاد التداولية لمسعود صحراوي، مجلة دفاتر المخبر، جامعة بسكرة، العدد 08، 2013، ص 156.

² ينظر: مسعود صحراوي، ص 12.

كتب صحراوي هذا المؤلف بلغة أكاديمية رصينة تتبعد عن الحشو الإنشائي، وتعتمد على "التكثيف المعرفي". تظهر في ثنايا الكتاب قدرة الباحث على الربط بين التجريد المنطقي والتطبيق اللساني، مع حرص شديد على إيراد المصطلحات بأصولها اللاتينية (بين قوسين) لضمان عدم لبس المفاهيم لدى القارئ، وهو ما يجعل الكتاب مرجعاً "بيداغوجياً" و"معرفياً" في آن واحد.

ثالثاً: إسهاماته في التداولية

لم يكن جهد الدكتور مسعود صحراوي في كتابه "لحظة ميلاد التداولية" مجرد تجميع لنظريات غربية، بل تجاوز ذلك إلى تقديم مساهمات جوهرية ساعدت في تشكيل ملامح الدرس التداولي العربي المعاصر. ويمكن حصر هذه الإسهامات في النقاط الجوهرية التالية:

1. الإسهام التأصيلي والمنهجي

يعتبر صحراوي من أوائل الباحثين الجزائريين الذين قدموا قراءة "جينالوجية" (تتبعية) للتداولية؛ أي أنه لم يكتفِ بعرض النتائج النهائية لنظريات الأفعال الكلامية، بل بحث في الأصول الفلسفية والمنطقية التي تولدت عنها في أحضان فلسفة اللغة العادية بمدرسة "أكسفورد". هذا الإسهام ساعد الباحثين العرب على فهم "لماذا" ظهرت التداولية، وليس فقط "ما هي" التداولية، مما عمق الوعي بالخلفيات المعرفية للدرس اللساني الحديث.¹

كان إسهاماته في ضبط وإغناء المصطلح التداولي حيث واجه الدرس التداولي العربي فوضى كبيرة في المصطلحات (Pragmatics) تُرجمت إلى: ذراعية، نفعية، مقامية، تداولية). وقد ساهم صحراوي بشكل فعال في ترسيخ مصطلح "التداولية" كبديل أمثل، مع تقديم مسوغات لغوية واشتقاقية مقنعة تربط المصطلح بالفعل "تداول" الذي يحمل معنى المشاركة والتفاعل بين المتكلم والسامع. كما قدم تدقيقات هامة لمصطلحات فرعية مثل "القوة الإنجازية" و"الفعل اللغوي"، مما ساهم في خلق لغة واصفة موحدة لدى الباحثين في هذا الحقل.²

أما في تبيئة نظرية الأفعال الكلامية إذ كان من أبرز إسهاماته في هذا الكتاب قدرته العالية على فك شفرات أعمال "أوستين" و"سيرل" وتقديمها في قالب عربي رصين يجمع بين الأمانة في النقل والدقة في التحليل. لقد استطاع صحراوي أن ينقل نظرية الأفعال الكلامية من حيز "الغموض الفلسفي" إلى حيز "الإجراء اللساني"،

¹ ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2005، ص 15.

² ينظر: عزوز إسماعيل، التداولية عند العرب: دراسة في جهود مسعود صحراوي، مجلة التواصل اللساني، جامعة باتنة 1، المجلد 05، العدد 02، 2019، ص 88.

موضحاً كيف يمكن استثمار هذه النظرية في تحليل الخطاب اليومي، والخطاب الأدبي، وحتى الخطاب القرآني، مما فتح آفاقاً جديدة للدراسات البيئية.¹

وعرف اسهامه ايضا في الجسر المعرفي بين التراث والحداثة حيث رغم أن الكتاب يركز على "الحظة الميلاد" الغربية، إلا أن إسهام صحراوي الأكبر يكمن في "الروح المقارنة" التي بثها في ثنايا بحثه. فقد مهد الطريق لإثبات أن الفكر اللغوي العربي القديم (عند البلاغيين والأصوليين) كان يمتلك بذوراً تداولية ناضجة، وهو ما طوره لاحقاً في مؤلفات أخرى. هذا الإسهام أعاد الثقة للباحث العربي في تراثه، مؤكداً أن التداولية هي استعادة لوعي لغوي قديم بآليات حديثة.²

والملاحظ بالنسبة لجهود العرب في التأسيس لدرس تداولي عربي حديث في أغلبها لباحثين تونسيين ومغاربة جزائريين، وبالنسبة لإشكالية المصطلح من اللسانيين من اعتمد مصطلح (التداول) الوارد في المعاجم العربية، وهو أقدم مقابل لمصطلح (Pragmatique)، وتم إقراره عند الكثير من اللسانيين، منهم:³

- أحمد المتوكل الوظائف التداولية في اللغة العربية (1985)
- عادل الفاخوري: الاقتضاء في التداول اللساني (1989)
- محمود أحمد نحلة آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (2002)
- ومن اللسانيين من اتخذ مصطلحات ترجمة أخرى انطلاقاً من خلفيات معرفية وفلسفية، منهم:
- عبد القادر الفاسي الفهري الذي ترجمها بالذريعات (1979)
- محمود فراج الذي ترجمها بالبراغماتية (1998)
- جورج كتورة الذي ترجمها بالعملائية والبراغماتية (2009)⁴

المبحث الثاني: التداولية في رؤية مسعود صحراوي

¹ ينظر: حافظ إسماعيل علوي، التداولية في البحث اللغوي العربي: دراسة في المفهوم والنشأة، دار الأمان، الرباط، 2009، ص 142.

² ينظر: مسعود صحراوي، ص 168.

³ ينظر: خلصة بارش، عز الدين عمري، المرجعية الإستمولوجية للمصطلح التداولي من خلال كتاب التداولية عند العلماء العرب "لمسعود صحراوي، مجلة المقرري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد 5، العدد 2، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2022، ص 41

⁴ ينظر: خلصة بارش، عز الدين عمري، المرجعية الإستمولوجية للمصطلح التداولي، ص 41.

ينطلق مسعود صحراوي في مقارباته من قناعة مفادها أن استيعاب أي علم يبدأ من ضبط حده ومفهومه، ولا يستقيم فهم "التداولية" دون الغوص في دلالاتها الاصطلاحية واشتباكاتهما مع الحقول المعرفية المجاورة. يسعى هذا المبحث إلى تفكيك الرؤية الصحراوية لمفهوم التداولية، وكيف استطاع الباحث أن يبني تعريفاً جامعاً يوفق بين النشأة الفلسفية الغربية والمتطلبات البيانية اللسانية، مع رصد نقده العلمي للترجمات التي شابت هذا المصطلح في الساحة العربية.

أولاً: تحليل مفهوم التداولية عند صحراوي

يعد مسعود صحراوي من اللسانيين الجزائريين الذين كان لهم السبق في التأسيس للسانيات التداولية العربية المعاصرة من خلال مؤلفاته وأبحاثه التي كان لها صدى في الدرس اللساني العربي، واستطاع هذا اللساني أن يضع الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، واصفاً التداولية بأنها (ليست علماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي، علماً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظاهرة اللغوية في مجال الاستعمال، وعلى الرغم من تبني مسعود صحراوي لمصطلح "تداولية" فإنه يقر بأن قضية التداولية التي تتمحور حول إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية المحركة لهذا الاستعمال، ومنه يجدر أن تسمى هذه الدراسة بعلم الاستعمال اللغوي بدل التداولية¹ . ويمكن تحليل رؤيته للمفهوم عبر المستويات التالية²:

1. المفهوم من منظور التجاوز المنهجي

يحلل صحراوي التداولية بوصفها المرحلة التي تلت اللسانيات الوصفة؛ فإذا كانت اللسانيات البنيوية قد توقفت عند حدود "الجملة" (Sentence) كبنية مغلقة، فإن التداولية عند صحراوي هي العلم الذي يدرس "الملفوظ" (Utterance) في حيزه الاستعمالي.

- التركيز على الفعل: اللغة في رؤيته ليست أداة للوصف فحسب، بل هي "فعل" يغير في الواقع.

¹ ينظر: خلصة بارش، عز الدين عمري، المرجعية الإستمولوجية للمصطلح التداولي، ص42
² ينظر: إسماعيل علوي، التداولية في البحث اللغوي العربي: دراسة في المفهوم والنشأة، دار الأمان، ص145.

- السياق: لا يمكن فهم المعنى عند صحراوي بمعزل عن "المقام" الذي قيل فيه، وهو ما يطلق عليه "تداولية السياق"¹.

2. الأبعاد المكونة للمفهوم لدى صحراوي

اعتمد الباحث في توسيع مفهوم التداولية على توليفة من ثلاثة أركان أساسية عرضها بشكل مفصل في كتابه "لحظة ميلاد التداولية"، وهي²:

- **البعد المقاصدي**: حيث يربط بين نجاح العملية التواصلية وقدرة السامع على إدراك "قصد المتكلم" (Speaker's Meaning)، وهو جوهر العملية التداولية عنده.
- **البعد الإنجازي**: ويقصد به القوة التأثيرية الكامنة في الكلام، فكل قول هو "إنجاز" لحدث ما (وعد، وعيد، أمر، نهي)
- **البعد الاستلزامي**: تحليل ما لا يقال صراحة، أي المعاني المختبئة خلف الألفاظ والتي يستلزمها السياق العرفي والمنطقي للغة.

3. التداولية كمنهج لتحليل الخطاب

لا يقف مفهوم التداولية عند صحراوي عند حدود التعريف النظري، بل يمتد ليشمل "الآلية الإجرائية". فهو يعرفها إجرائياً بأنها: "الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة في الخطاب، وبحث العلاقة القائمة بين الأبنية اللغوية ومستعملي هذه الأبنية في سياقات تواصلية محددة". وهذا التعريف يخرج التداولية من "سجن القواعد" إلى "رحابة التفاعل الإنساني"³.

¹ ينظر : مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (اللسانيات التداولية)، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، الجزائر، 2005، ص 18.

² ينظر: بشير إبرير، اللسانيات التداولية: مفاهيمها واتجاهاتها، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، العدد 21، 2004، ص 44.

³ ينظر: مسعود صحراوي، ص 23.

4. لتمييز بين المفهوم الفلسفي واللساني

يحرص صحراوي على توضيح الخيط الرفيع بين التداولية كفرع من "السيميوطيقا" (عند شارل موريس) وبينها كعلم لساني مستقل. فالتداولية في نظره تطورت من كونها "سلة مهملات" اللسانيات (كما كان يطلق عليها قديماً) لتصبح المحرك الأساسي لفهم إنتاج المعنى وتلقيه، معتبراً إياها "اللسانيات في حالة حركة"¹.

ثانياً: النقد والتحليل لمشكلات ترجمة المصطلح التداولي

يحتل نقد المصطلحات المترجمة حيزاً جوهرياً في مشروع مسعود صحراوي، حيث يرى أن أزمة اللسانيات العربية المعاصرة هي في جوهرها "أزمة مصطلح" ناتجة عن التسرع في النقل دون تمحيص للمرتكزات الفلسفية. وفي كتابه "لحظة ميلاد التداولية"، لم يكن صحراوي مجرد ناقل للمصطلح، بل كان ناقداً بصيراً بالخلفيات اللغوية والاشتقاقية، ويمكن رصد نقده وتحليله عبر المحاور الفقراتية التالية:

- نقد التعددية المصطلحية العشوائية :

يرى صحراوي أن التداولية عانت من "فوضى تسميمية" في الساحة العربية، حيث تعددت المقابلات العربية لمصطلح (Pragmatics) بين (الذرائعية، النفعية، المقامية، التداولية، السياقية). وفي تحليله لهذه الظاهرة، ينقد صحراوي المقابلات التي تركز على الجانب الفلسفي البحت مثل "الذرائعية" أو "النفعية" (المستمدة من البراغماتية كفلسفة عمل)، معتبراً أن هذه الترجمات تحصر العلم في إطاره المصلحي النفعي وتغفل طبيعته اللسانية التواصلية. كما ينقد مصطلح "المقامية" لكونه يحصر العلم في دراسة "المقام" فقط، بينما التداولية عنده أوسع من ذلك، فهي تشمل المقام والقصد والإنجاز معاً.²

- التحليل الاشتقاقي والدفاع عن خيار "التداولية"

"ينطلق صحراوي في دفاعه عن مصطلح "التداولية" من جذر لغوي عربي أصيل وهو (د.و.ل)، حيث يحلل الفعل "تداول" بوصفه يحمل معنى التناوب والمشاركة والتفاعل بين طرفين أو أكثر (المتكلم والسامع). ويرى أن هذا المصطلح هو الأقرب لروح العلم الذي يدرس "اللغة في حالة تبادل وتداول" بين البشر. ويؤكد صحراوي أن هذا الاختيار ليس مجرد تفضيل شخصي، بل هو اختيار نابع من قدرة المصطلح على استيعاب مفاهيم "المخاطبة"

¹ ينظر: أمانة بلعلی، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002، ص 31.

² ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص 12.

و"المقصدية" و"العمل المشترك" الذي تقتضيه النظرية في أصلها الأنجلوسكسوني، مما يجعله المقابل الأكثر مرونة ودقة للترجمة العلمية الرصينة¹.

- مشكلة الترجمة الحرفية وإغفال السياق الفلسفي :

يوجه صحراوي نقداً لاذعاً للمترجمين الذين نقلوا مفاهيم "أفعال الكلام" (Speech Acts) "بطريقة حرفية أدت إلى لبس مفاهيمي. فهو يحلل كيف أن ترجمة (Illocutionary act) و (Perlocutionary act) عرفت تضارباً كبيراً. ويرى أن الخلل يكمن في عدم العودة إلى "لحظة الميلاد" الفلسفية عند أوستين؛ حيث إن المترجم العربي غالباً ما يترجم اللفظ ويغفل "القوة" (Force) "الكامنة فيه. ومن هنا، يقترح صحراوي ضرورة تبني ترجمات تراعي "الفعالية" و"الإنجازية" في القول، وهو ما يظهر في استخدامه الدقيق لمصطلحات مثل "الفعل الإنجازي" بدلاً من مجرد "القول"، مبرراً ذلك بأن اللغة تنجز أحداثاً ولا تكتفي بنقل الأخبار².

المتأمل في الفكر الفلسفي المعاصر يدرك الطفرة التي أصابت ثانياً مواضيعه من حيث المنهج والموضوع، وهذه الطفرة تشكل منحى انتقال من الخوض في المواضيع والتساؤلات في مختلف المجالات إلى انحصارها في التحليل اللغوي، وهذا ما ينطلق منه أصحاب الفلسفة التحليلية³.

ولكل حقل من حقوله التداولية مصادره التي يستقي منها أطره الاستيمولوجية، ومن أبرز هذه الحقول حسب مسعود صحراوي، ما يأتي:

أ . الأفعال الكلامية

والتي يطلق عليها أيضاً نظرية الحدث الكلامي، ونظرية الحدث اللغوي، والنظرية الإنجازية، واعتمد مسعود صحراوي مصطلح أفعال الكلام رغم ما يشوبه من اضطراب حيث يرى أستاذ علم اللغة البريطاني جون لا ينز أن ثمة تضليلاً في مصطلح الفعل الكلامي في هذه النظرية لكونه يرمي بثقله الدلالي ويحيل إلى الجانب الصوتي المادي من اللغة أي إلى الكلام المنطوق فقط، بينما يعد مصطلح (الفعل اللغوي) . حسب . أنسب وأفضل بكثير منه، لأنه يشمل القوى الإنجازية المترتبة عن لغة الكتابة ولغة الكلام مع بعض؛ أي اللغة في عمومها، فنحن حين نكتب نستعمل اللغة وننجز بها أفعالا، فلو كتبت أعد كتابة النص ستعيد كتابته وإن لم أستعمل الفعل في شكله

¹ نظر: محمد الحناش، البنيوية والتداولية: دراسة في المنهج والمصطلح، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2001، ص 56.

² ينظر: مسعود صحراوي، ص 14 وما بعدها.

³ ينظر: خلصة بارش، عز الدين عماري، المرجعية الإستيمولوجية للمصطلح التداولي، ص 43

المنطوق، وعليه فمصطلح الفعل اللغوي أنسب من مصطلح الفعل الكلامي، فهول شمولي للقوي الإنجازية ولأنماط التواصل.¹

ب . الاستلزام الحواري نظرية المحادثة :

وهي من المفاهيم التداولية التي لها مرجعيتها الإستمولوجية المنبثقة من فلسفة بول غرايس (Grice) حيث لاحظ غرايس أن الحمولة الدلالية للخطاب تحمل معنيين في الوقت نفسه أحدهما حرفي والآخر مستلزم، وأطلق على هذه الظاهرة اللغوية الاستلزام الحواري ووصفها اقترح ما أسماه ب (بنظرية المحادثة) التي مفادها أن التواصل اللغوي يحتكم إلى (مبدأ التعاون) وهو يقوم على أربع مسلمات ويحدث الاستلزام الحواري عند خرق إحدى هذه المسلمات.²

- نقد الانقطاع عن التراث في وضع المصطلح :

من بين أقوى الانتقادات التي قدمها صحراوي هي تلك الموجهة للباحثين الذين وضعوا مصطلحات تداولية معاصرة مع إغفال تام للمخزون "الاصطلاحي" في التراث العربي القديم، خاصة عند الأصوليين والبلاغيين. يحلل صحراوي كيف أنّ مفاهيم مثل "مقتضى الحال" أو "إفادة الخبر" كانت تحمل في طياتها بذوراً تداولية، وأن إهمال هذا التراث عند وضع المصطلح الحديث أدى إلى خلق "غربة معرفية" لدى القارئ العربي. لذا، يدعو في ثنايا كتابه إلى "تبيئة المصطلح" عبر ربطه بالذاكرة اللغوية العربية لضمان استمراريته وقبوله في العقل الأكاديمي.³

المبحث الثالث: الأفعال الكلامية وتحليل السياق الفلسفي عند صحراوي

بعد أن بسط الدكتور مسعود صحراوي القول في ضبط المصطلح وتحديد ماهية التداولية، انتقل إلى جوهر الطرح التداولي المتمثل في "نظرية الأفعال الكلامية". يمثل هذا المبحث محاولة لاستنطاق قراءة صحراوي للمسار الفلسفي الذي اتخذته كل من "أوستين" و "سيرل"، وكيف استطاع الباحث الجزائري أن يبرز التحولات العميقة التي طرأت على فهم اللغة؛ من كونها أداة لنقل الأخبار إلى كونها قوة إنجازية فاعلة في السياق الاجتماعي والفلسفي، وصولاً إلى محاولة الكشف عن امتدادات هذه النظرية في الموروث اللغوي العربي.⁴

ينظر: خلصة بارش، عز الدين عماري، المرجعية الإستمولوجية للمصطلح التداولي، ص 44¹

ينظر: خلصة بارش، المرجع نفسه، ص 46²

³ ينظر: الفهري عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط4، 2000، ص 102

⁴ ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2005، ص 34 وما بعدها.

أولاً: قراءة نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين كما عرضها صخراوي

بعد أن بسط الدكتور مسعود صخراوي القول في ضبط المصطلح وتحديد ماهية التداولية، انتقل إلى جوهر الطرح التداولي المتمثل في "نظرية الأفعال الكلامية". يمثل هذا المبحث محاولة لاستنطاق قراءة صخراوي للمسار الفلسفي الذي اتخذته كل من "أوستين" و"سيرل"، وكيف استطاع الباحث الجزائري أن يبرز التحولات العميقة التي طرأت على فهم اللغة؛ من كونها أداة لنقل الأخبار إلى كونها قوة إنجازية فاعلة في السياق الاجتماعي والفلسفي، وصولاً إلى محاولة الكشف عن امتدادات هذه النظرية في الموروث اللغوي العربي.¹

يرى مسعود صخراوي أن لحظة ميلاد التداولية الحقيقية ارتبطت بظهور الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستين"، الذي أحدث قطيعة معرفية مع التصورات التقليدية للغة. يحلل صخراوي في كتابه كيف أن أوستين بدأ بمراجعة نقدية لما سماه "الوهم الوصفي"، وهو الاعتقاد السائد بأن وظيفة اللغة الوحيدة هي وصف العالم وتقرير الحقائق التي تحتمل الصدق أو الكذب. ويستفيض صخراوي في شرح كيف استطاع أوستين أن يميز بين نوعين من الملفوظات؛ "الملفوظات التقريرية" التي تكتفي بالوصف، و"الملفوظات الإنجازية" التي لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، بل بالنجاح أو الفشل، لأنها في جوهرها أفعال تؤدي بمجرد النطق بها، مثل الوعد أو الرهان أو التسمية، حيث يرى صخراوي أن هذا التمييز كان هو الشرارة الأولى التي نقلت الدرس اللساني من الانغلاق البنيوي إلى رحابة التحليل التداولي.²

ويتعمق صخراوي في تحليل الانعطاف الذي قام به أوستين حين تراجع عن التمييز الثنائي (تقريبي/إنجازي) لصالح نظرية شاملة للأفعال الكلامية، وهي النقطة التي يوليها صخراوي أهمية بالغة في كتابه. يوضح الباحث أن أوستين قسم الفعل الكلامي الواحد إلى ثلاثة مستويات متداخلة تظهر بوضوح في الفعل التواصل؛ أولها "فعل القول" (Locutionary act) وهو الجانب المادي واللغوي للنطق، وثانيها "الفعل المتضمن في القول" (Illocutionary act) وهو القوة الإنجازية المرتبطة بقصد المتكلم مثل الأمر أو النهي، وثالثها "الفعل الناتج عن القول" (Perlocutionary act) وهو الأثر النفسي أو السلوكي الذي يتركه القول في السامع. ويرى صخراوي أن عبقرية أوستين تكمن في تركيزه على المستوى الثاني، أي "القوة الإنجازية"، معتبراً إياها المحور الذي تدور حوله التداولية، لأنها تربط بين الصيغة اللغوية وبين القصد التواصل والمقام الاجتماعي.³

¹ ينظر: إدريس مقبول، اللسانيات التداولية: دراسة في الأصول والأفاق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2013، ص 56.

² ينظر: مسعود صخراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص 34.

³ ينظر: بشير إبرير، اللسانيات التداولية: مفاهيمها واتجاهاتها، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، العدد 21، 2004، ص 48.

وفي سياق قراءته النقدية، يحلل مسعود صحراوي شروط "نجاح" الفعل الكلامي عند أوستين، مؤكداً أن الفعل لا يكتسب قوته إلا إذا توفرت له سياقات خارجية تضمن مشروعيتها. ويشرح صحراوي كيف أن أوستين لم يكتفِ بالتحليل اللغوي الصرف، بل أدخل مفاهيم مثل "المؤسسات الاجتماعية" و"الأعراف" كعناصر محددة لنجاح الأفعال الإنجازية. ويشير الباحث إلى أن أهمية قراءة أوستين تكمن في كشفه عن أن التواصل البشري ليس مجرد تبادل للمعلومات، بل هو ممارسة للسلطة وتغيير في مراكز القوى الرمزية بين المتكلم والسامع، وهو ما يجعله يؤكد في ثنايا كتابه أن أي دراسة لسانية تحمل هذه القوة الإنجازية تظل دراسة قاصرة عن فهم الطبيعة الحقيقية للغة البشرية¹.

ثانياً: قراءة سيرل وتطويرة لنظرية الأفعال الكلامية

يرى الدكتور مسعود صحراوي أن "جون سيرل (John Searle)" لم يكن مجرد شارح لأفكار أستاذه أوستين، بل كان المنظر الذي نقل أفعال الكلام من حيز الملاحظات الفلسفية المتناثرة إلى حيز "النظرية المتكاملة" ذات القواعد الإجرائية الصارمة. ويمكن قراءة هذا التطوير من منظور صحراوي عبر النقاط التالية:

1. إعادة صياغة بنية الفعل الكلامي

يحلل صحراوي كيف قام سيرل بدمج مستويات الفعل الكلامي التي وضعها أوستين في صيغة أكثر تماسكاً. فبينما كان أوستين يتحدث عن ثلاثة أفعال منفصلة، يرى سيرل -حسب عرض صحراوي- أن الفعل الكلامي هو وحدة واحدة تضم "فعل النطق" و"فعل القصد". وقد ركز صحراوي على مفهوم "القصدية (Intentionality)" عند سيرل، معتبراً إياها المحرك الذي يعطي للملفوظ معناه التداولي، حيث لا يكتفي سيرل بوصف الفعل بل يبحث في "القواعد المكونة" التي تجعل من القول فعلاً إنجازياً ناجحاً².

2. وضع قواعد النجاح: (Felicity Conditions)

توسع صحراوي في شرح الابتكار المنهجي الذي قدمه سيرل والمتمثل في صياغة أربعة أنواع من القواعد الضرورية لنجاح أي فعل كلامي، وهي التي يعرضها صحراوي كالتالي:

¹ ينظر: مسعود صحراوي، المرجع نفسه، ص 42 وما بعدها

² . ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص 58

- قواعد المحتوى القضوي: وتتعلق بما يتم الإخبار عنه في الجملة.
- القواعد التمهيدية: وهي الشروط التي يجب توفرها في المتكلم والسامع قبل النطق (مثل معرفة المتكلم بقدرة السامع على تنفيذ الأمر).
- قواعد الإخلاص: وتتعلق بالحالة النفسية للمتكلم (كالصدق في الوعد).
- القاعدة الجوهرية: وهي التي تحدد طبيعة الالتزام الذي يقطعه المتكلم على نفسه بمجرد النطق¹.

3. تصنيف الأفعال الكلامية: من أهم الإسهامات التي توقف عندها صحراوي بالتحليل هي محاولة سيرل تصنيف الأفعال الكلامية بشكل أكثر دقة من أوستين. يذكر صحراوي أن سيرل اعتمد معايير واضحة للتصنيف مثل (الغرض الإنجازي، واتجاه الملاءمة بين الكلمات والعالم). وبناءً على ذلك، عرض صحراوي أصناف سيرل الخمسة المشهورة:

- الإخباريات: (Assertives) التي تلتزم بصدق القضية (كالتأكيد والتقريب).
- التوجيهات: (Directives) التي تهدف لحمل السامع على فعل شيء (كالأمر والطلب).
- الالتزاميات: (Commissives) التي تلزم المتكلم بفعل مستقبلي (كالطموح والوعد).
- التعبيريات: (Expressives) التي تعبر عن حالة نفسية (كالشكر والتهنئة).
- الإعلانيات: (Declarations) التي تغير واقعاً بمجرد النطق بها (كالحكم القضائي أو التسمية)².

3. نظرية الأفعال الكلامية غير المباشرة

¹ ينظر: إدريس مقبول، الأفق التداولي: دراسة في سياق المفهوم وشروط الإنتاج، عالم الكتب الحديث، إربد، 2011، ص 92

² ينظر: مسعود صحراوي، ص 65 وما بعدها

يحلل مسعود صحراوي بذكاء كيف عالج سيرل مشكلة "المعنى الحرفي" مقابل "المعنى التداولي". ففي الأفعال الكلامية غير المباشرة، قد يقول المتكلم شيئاً ويقصد شيئاً آخر (مثل قوله: "هل يمكنك ناولي الملح؟" فهو في الظاهر سؤال عن القدرة، لكنه في التداول "أمر" أو "طلب"). يرى صحراوي أن سيرل نجح في تفسير كيف يفهم السامع القصد غير المباشر عبر الاعتماد على مبدأ التعاون السياقي، وهو ما يعتبره صحراوي قمة النضج في التحليل التداولي لسيرل¹.

إن قراءة صحراوي لسيرل تتسم بالتقدير لمنهجيته، لكنها لا تخلو من نفس نقدي يظهر في كيفية مواءمة هذه القواعد مع خصوصية اللغة العربية، وهو ما يمهد للعنصر القادم المتعلق بامتدادات النظرية في التراث العربي.

ثالثاً: تأصيل النظرية في التراث العربي وفق قراءة صحراوي

لم تكن قراءة مسعود صحراوي لنظرية الأفعال الكلامية مجرد عملية استيراد لمفاهيم غريبة جافة، بل كانت محاولة جادة لتبينة هذه النظرية عبر البحث عن جذورها العميقة في التربة اللغوية العربية. ويرى صحراوي أن الفكر العربي القديم قد لامس جوهر التداولية قبل قرون من ظهورها في مدرسة "أكسفورد"²، ويمكن تفصيل هذا التأصيل المنهجي وفق النقاط المتتالية التالية:

1- الإرهاص البلاغي الأول (ثنائية الخبر والإنشاء وتبينة الملفوظ الإنجازي):

يُشكل التقسيم الثنائي اللامع للكلام عند علماء المعاني والبلاغيين العرب إلى (خبر وإنشاء) المرتكز الأساس والمنطلق المنهجي الأبرز الذي استند إليه مسعود صحراوي لإثبات ريادة الفكر اللغوي التراثي؛ إذ يرى أن هذه القسمة الحاصرة لم تكن مجرد تصنيف شكلي، بل كانت وعياً مبكراً وبنوياً بـ "وظيفية اللغة" وحركيتها داخل المجتمع المعرفي والتواصلي³.

وعند تشريح هذا المفهوم، نجد أن البلاغيين قد حددوا "الخبر" بأنه ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، حيث تكون للقول قيمة تقريرية (Constative) ترتبط بمطابقة الواقع الخارجي أو عدم مطابقته. أما "الإنشاء" - وهو موطن الشاهد التداولي - فقد أخرجوه تماماً من هذه المعادلة الصدقية؛ فالملفوظ الإنشائي لا يسعى إلى نقل

¹ . ينظر: شفيعة بن داود، الأفعال الكلامية عند جون سيرل: مقاربة تداولية، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، العدد 15، 2012، ص 210
² مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص 17.
³ المرجع نفسه، ص 154.

معلومة جاهزة أو وصف حدث قائم في الخارج، بل إن النطق به هو "عين إحداث الحدث"، وتوليد دلالة جديدة لم تكن موجودة قبل لحظة التلفظ.

هذا الفهم التراثي الدقيق يتطابق - بحسب قراءة صحراوي - تطابقاً كلياً ومذهلاً مع مفهوم "الملفوظات الإنجازية" (Performative Utterances) التي أسس بناءها الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستين" (John Austin) "في نظرية الأفعال الكلامية، حيث قرر أن هناك صنفاً من الكلام لا يصف العالم بل "يفعل" في العالم (Doing things with words).

ويتعمق صحراوي في رصد هذا الالتقاء المعرفي عبر استنطاق جهود "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز"، مسلطاً الضوء على الكيفية التي أدرك بها الجرجاني أن الأساليب الإنشائية (كالطلب، والأمر، والنهي، والاستفهام، والتعجب) ليست قوالب لغوية جامدة، بل هي أدوات مشحونة بطاقة حجاجية وفعلية محكومة بـ "مقتضى الحال" والمقام التواصلية الشاخص. وبناءً على ذلك، يصبح المتكلم في المنظور البلاغي العربي صانعاً لأفعال تواصلية، وتتحوّل البنية اللغوية من مجرد نظام قولي تجريدي إلى "طاقة إنجازية فعلية" قادرة على التأثير في المخاطب وتغيير موقفه السلوكي والذهني، وهو ما يؤصل لنظرية الأفعال الكلامية بخصوصية عربية أصيلة وعميقة الفلسفة.¹

2- القوة الإنجازية والدقة الأصولية في تحليل الأقوال (بنية العقود وتأسيس القصيدة)

يستترسل صحراوي في مغامرته التأصيلية بالانتقال من الفضاء البلاغي إلى رحاب علم أصول الفقه، وهو الميدان الذي يراه أكثر عمقاً، ونضجاً، ودقة في ممارسة التحليل التداولي؛ إذ وجد أن الأصوليين العرب لم يقفوا عند حدود الوصف الجمالي أو التفسيري للغة، بل غاصوا في تشريح "القوة الإنجازية" (Illocutionary Force) "للأقوال، ومدى قدرتها على إنشاء الأحكام، وإلزام المكلفين، وتغيير المراكز القانونية والشرعية للمخاطبين.²

يتجلى هذا الوعي التداولي الفائق - بحسب قراءة صحراوي - في دراستهم المستفيضة والمبكرة لـ "صيغ العقود والإيقاعات الشرعية" (مثل: صيغ البيع، والنكاح، والطلاق، والعتق)؛ حيث تفتن العقل الأصولي إلى أن هذه

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ، ص ص 156-158

² المرجع نفسه، ص 38.

العبارات لا تنتمي إلى حقل الإخبار، بل هي "أفعال مؤسسة" تكتسب صبغتها القانونية والشرعية الإلزامية بمجرد التلفظ بها، شريطة توافر سياق مقامي ومؤسسي صحيح يضبطها¹.

ويقود هذا التحليل صحراوي إلى عقد مقارنة معرفية وازنة بين الفكر الأصولي وما انتهت إليه التداولية المعاصرة؛ حيث يرى أن تركيز الأصوليين على ثنائية "قصد الشارع" (إرادة المشرع الحكيم) و"قصد المكلف" (نية المتلفظ) يلتقي في نقاط جوهرية مذهلة مع مفهوم "القصدية" (Intentionality) وتأثيرها في توجيه الفعل الكلامي عند الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" (John Searle). "فقد اشترط الأصوليون خلو الإرادة من العوارض (كالجهل، والإكراه، واللعب) لكي يترتب الأثر الشرعي على القول، وهو تماماً ما يُعرف في التداولية الغربية بـ "المقصد الإنجازي" الذي يحول الملفوظ من مجرد أصوات إلى فعل تواصل هادف².

علاوة على ذلك، فإن اشتغال علماء الأصول على دلالات "الأوامر والنواهي" وتصنيفها وفق درجات الإلزام (من الوجوب والندب إلى التحريم والكراهة) يمثل - في نظر صحراوي - ذروة الممارسة التداولية المؤسسية؛ لأنها دراسة حية تبحث في كيفية تحول الحرف والكلمة إلى سلطة تشريعية وتنفيذية تؤثر في سلوك الواقع الإنساني وتوجه حركة المجتمع، مما يجعل من أصول الفقه خزاناً تداولياً أصيلاً سبق أطروحات "مدرسة أكسفورد" في قراءة بعد القوة والالتزام في الخطاب الشريف³.

3- مقتضى الحال وشروط نجاح الفعل الكلامي (المطابقة المقامية ومأسسة الخطاب):

يختتم صحراوي قراءته المقارنة والتأصيلية بالتركيز على مفهوم "مقتضى الحال" (أو مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، معتبراً إياه العمود الفقري، والنواة الصلبة التي قامت عليها التداولية العربية القديمة في فضاء البلاغة والنقد؛ إذ يرى في هذا المفهوم التراثي المقابل الموضوعي، والإجرائي الدقيق لمفهوم "السياق" (Context) أو "المقام" المعاصر بكل أبعاده وتشعباته النفسية، والاجتماعية، والثقافية، والمقامية التي تحيط بلحظة إنتاج الخطاب. فالحال عند البلاغيين العرب ليس مجرد ظرف زمني أو مكاني عابر، بل هو مجموع الظروف، والملابسات، والقرائن، ومكانة المخاطب الذهنية والاجتماعية التي تستدعي من المتكلم نمطاً أسلوبياً وتعبيراً مخصوصاً دون غيره⁴.

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 45.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 48-52.

³

⁴ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 61.

ويجمل صحراوي - بناءً على هذا التأصيل - كيف أن مطابقة الكلام لمقتضى الحال هي المحك الأساس، والمعيار الإجرائي الأول الذي يحدد نجاح الفعل الكلامي في إيصال مقصده، أو فشله وتحوله إلى لغو لا طائل منه. هذا التصور التراثي ينعكس - بحسب قراءته - انسجاماً تاماً و كلياً مع "شروط النجاح (Felicity Conditions)" التي وضعها الفيلسوف التداولي "جون سيرل (Searle)" "لمأسسة الأفعال الكلامية؛ حيث اشترط سيرل لنجاح الفعل الإنجازي توافر شروط مقامية ومؤسسية صارمة (كشروط المعتقد، والقدرة، والإخلاص، والوضع القانوني للمتكلم).¹

وعليه فإن ما سماه "سيرل" بفشل الفعل الكلامي (Infelicitous Act) نتيجة اختلال شروط المقام، هو عينه ما عده البلاغيون العرب خروجاً عن مقتضى الحال، ومجانفة لسنن البيان التواصلي. ومن هنا، تبرز دعوة صحراوي لإعادة قراءة التراث بعيون تداولية؛ لكونها دعوة معرفية جادة تهدف إلى كسر المركزية الغربية المهيمنة في التأريخ للعلوم اللسانية، وإثبات أن العقل اللغوي العربي لم يقف عند حدود الوصف البنيوي السطحي للملفوظات، بل كان يمتلك أدوات تحليلية بالغة الدقة والعمق، غاصت في جوهر العملية التواصلية الفاعلة، مما يجعل من أطروحات صحراوي جسراً معرفياً متيناً يربط بين أصالة الفكر العربي وحدثا المناهج اللسانية العالمية²

¹ المرجع نفسه، ص112.

² . ينظر: محمد بوعزة، تحليل الخطاب الأدبي: تداولية، جمالية، تفكيكية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010م، ص 79

خلاصة الفصل

إنّ الحصاد المعرفي الذي انتهينا إليه بعد دراسة الجهود اللسانية للدكتور مسعود صحراوي في مؤلفه "لحظة ميلاد التداولية". ويمكن حصر أهم النتائج في أن الفصل كشف عن مقارنة أكاديمية جزائرية اتسمت بالدقة في تتبع الجذور الفلسفية والمنطقية للتداولية قبل تبنيها لسانياً. وقد تجلّى ذلك في حرص صحراوي على ضبط المصطلح ونقد الفوضى الترجمية في الساحة العربية، حيث قدم مسوغات قوية لترجيح مصطلح "التداولية" كبديل اشتقاقي يعكس روح التفاعل والمشاركة، متجاوزاً بذلك قصور المصطلحات الأخرى التي ضيقّت واسع هذا العلم.

كما أثبتت الدراسة أن إسهام صحراوي الجوهري يكمن في قراءته العميقة لنظرية الأفعال الكلامية، حيث نجح في فك شفرات القوة الإنجازية وتوضيح كيفية انتقال اللغة من الوصف إلى الفعل. ولم يكتفِ بالعرض النظري، بل سعى لتأصيل "تداولية عربية" عبر إثبات امتدادات النظرية في التراث البلاغي والأصولي، خاصة في مفهوم "مقتضى الحال" وصيغ العقود. وبذلك، يعد منجز صحراوي جسراً معرفياً يربط بين أصالة الفكر العربي وحدثات المناهج اللسانية العالمية، مما يجعله حجر زاوية في بناء درس تداولي عربي معاصر يجمع بين مقتضيات التحديث ومتطلبات الأصالة.

خاتمة

بعد هذه الرحلة المعرفية والفاحصة في الفكر اللساني التداولي المعاصر، وتتبع تحليلاته من خلال منجز الدكتور خولة طالب الإبراهيمي في كتابها "مبادئ في اللسانيات العامة"، وقراءة الجهود اللغوية والتأصيلية للدكتور مسعود صحراوي لا سيما في كتابه "لحظة ميلاد التداولية"، نصل في ختام هذه الدراسة إلى استخلاص جملة من النتائج والتوصيات المنهجية التي تكمل مسار هذا البحث، وتصوغها في النقاط المتتالية التالية:

أولاً: النتائج

الانتقال المنهجي الناجح من اللسانيات البنيوية الصورية إلى الفضاء التداولي الرحب.
الريادة التأصيلية عند مسعود صحراوي بتبئية نظرية "الأفعال الكلامية" داخل التراث العربي البلاغي والأصولي.

التوافق المفاهيمي المذهل بين التراث والحداثة الخبر والإنشاء / ملفوظات أوستين، ومقتضى الحال / سياق و شروط نجاح سيرل

الدقة الأصولية الفائقة لعلماء أصول الفقه في تحليل القوة الإنجازية وتأسيس مفهوم القصدية.
بروز أزمة واضطراب في ترجمة المصطلح التداولي والبنيوي نتيجة تعدد البيئات اللسانية العربية.

ثانياً : الاقتراحات والتوصيات

تفعيل المقاربة التداولية في مناهج تعليم اللغة العربية وتحليل الخطاب التعليمي والجامعي.
العناية بالمنجز اللساني الجزائري المعاصر غير فتح مشاريع بحثية أكاديمية تثمن طروحاتهم ونقدها.
صياغة معجم مصطلحي تداولي وبنيوي موحد بالتنسيق بين المجامع اللغوية والمعاهد اللسانية العربية.

المزاوجة بين المنهج التزامني والمنهج التداولي في دراسات طلبة الدراسات العليا لمواكبة التغيرات
السوسيو - لسانية.

الانفتاح على التداوليات المعاصرة كتداولية الحجاج، والتحليل النقدي للخطاب، واللسانيات المعرفية.

قائمة المصادر والمراجع

- قائمة المصادر والمراجع .

أولاً: المصادر العربية والمعربة

1. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد 11، الطبعة الثالثة، 1994م.
2. أوستين (جون) كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة: عماد نبيل، مراجعة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006م.
3. أرمينكو (فرانسواز) المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1986م.
4. أرمينكو (فرانسواز) المقارنة التداولية، ترجمة: عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1990م (وينظر طبعة 1998م، ترجمة عبد القادر قنيني، دار توبقال).
5. بلانشيه (فيليب) التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 2007م.
6. دلاش (الجيلالي) مدخل إلى اللسانيات التداولية، سلسلة الدروس في اللغات والآداب، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.
7. دي سوسير (فرديناند) محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة: يوسف وغليسي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 1985م.
8. روبول (آن) وموشلار (جاك) التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م.
9. الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) أساس البلاغة، ج 2، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م.
10. سيرل (جون) الأفعال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، ترجمة: معتمد علي، دار الهاني، القاهرة، مصر، 2005م.
11. سيرل (جون) العقول والأدمغة والعلم، ترجمة: مصطفى ناصر، سلسلة عالم المعرفة (العدد 178)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م.

12. فاندرفيكن (دانيال) العرفان والتواصل: أفعال الكلام ومنطق الجهة، ترجمة: عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2004م.
13. فان ديك (تون) النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء/بيروت، 2000م.
14. ليكوف (جورج) وجونسن (مارك) الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2009م.
15. موريس (شارل) أسس نظرية العلامات، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2000م.
16. موشر (جاك) وريبول (آن): القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، المركز الوطني للترجمة، تونس.

ثانياً: المراجع العربية المعاصرة

1. إبرير (بشير) اللسانيات التداولية: مفاهيمها واتجاهاتها، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، العدد 21، 2004م.
2. بلعلی (آمنة) تحليل الخطاب الصوفي في ضوء التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2002م.
3. بوعزة (محمد) تحليل الخطاب الأدبي: تداولية، جمالية، تفكيكية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010م.
4. بوجادي (خليفة) في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم (ودراسة تحليلية للخطاب)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009م.
5. بوحوش (رابح) اتجاهات الدراسات اللسانية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007م.
6. بوقرة (نعمان) اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2009م.

7. بوقرة (نعمان)، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: دراسة معجمية، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2009م.
8. الحناش (محمد)، البنيوية والتداولية: دراسة في المنهج والمصطلح، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2001م.
9. رشوان (مهران)، دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998م.
10. الرويلي (ميجان) والبازعي (سعد) الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2000م.
11. زيدان (محمود فهمي) في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985م.
12. سالم (محمد عزيز نظمي) قراءات في علم الجمال حول الاستيعاق (النظرية والتطبيق): نظريات الإبداع الفني، الجزء الخامس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1996م.
13. سعودي (نواري أبو زيد) في تداولية الخطاب الأدبي: المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009م.
14. سعودي (نواري أبو زيد) المنهج التداولي في مقارنة الخطاب: المفهوم، المبادئ، والحدود (بحوث ومقالات)
15. صحراوي (مسعود) التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005م.
16. صحراوي (مسعود) لحظة ميلاد التداولية (اللسانيات التداولية)، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2005م.
17. صحراوي (مسعود) التداولية عند العرب: دراسة في الأصول والامتداد (دراسة تأصيلية تداولية)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005م.
18. الشهري (عبد الهادي بن ظافر) استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004م.

19. طه (عبد الرحمن) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1998م.
20. طالب (خولة الإبراهيمي) مبادئ في اللسانيات العامة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000م.
21. عبد الحق (صلاح إسماعيل) نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2005م.
22. العجمي (فالح بن شبيب) الربط الضّرعي في النص العربي، دار الكتب العلمية (طبعة بيروت 2011م) / دار كنوز المعرفة (طبعة عمان 2010م)
23. علوي (حافظ إسماعيلي): التداوليات: علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 2011م.
24. علوي (حافظ إسماعيلي) التداولية في البحث اللغوي العربي: دراسة في المفهوم والنشأة، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2009م.
25. عناني (محمد) فن الترجمة، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 2003م.
26. الفاسي الفهري (عبد القادر) اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، 2000م.
27. فضل (صلاح) بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1992م.
28. القاسمي (علي) اللغة والتواصل، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2000م.
29. كاظم (مرتضى جبار) اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2015م.
30. المتوكل (أحمد) قضايا في اللسانيات الوظيفية، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، الطبعة الثانية، 1999م.
31. المسدي (عبد السلام) اللسانيات وأسسها المعرفية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى 2001م / الطبعة الثانية 2003م.
32. مقبول (إدريس) الأفق التداولي: دراسة في سياق المفهوم وشروط الإنتاج، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011م.

33. مقبول (إدريس) اللسانيات التداولية: دراسة في الأصول والآفاق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2013م.
34. نحلة (محمود أحمد) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002م.
35. نغورة (الزواوي) العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 35، العدد 3، مارس 2007م.
36. نغورة (الزواوي) الفلسفة واللغة: نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005م.

ثالثاً: الأطاريح والرسائل الجامعية

1. واضح (أحمد) الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن 3هـ إلى القرن 7هـ، أطروحة دكتوراه مخطوطة، جامعة وهران 1، الجزائر، 2012م
- رابعاً: الدوريات والمجلات العلمية والأعمال الجماعية
1. الأعرجي (محمد حمزة إبراهيم ستار جبر حمود) المنهج التداولي في فكر طه عبد الرحمن، ج2، 2012م.
2. بارش (خضرة) وعماري (عز الدين) المرجعية الإستمولوجية للمصطلح التداولي من خلال كتاب "التداولية عند العلماء العرب" لمسعود صحراوي، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، المجلد 5، العدد 2، 2022م.
3. بن داود (شفيعة) الأفعال الكلامية عند جون سيرل: مقارنة تداولية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد 15، 2012م.
4. بوعافية (فتيحة) قراءة في كتاب "لحظة ميلاد التداولية" لمسعود صحراوي، مجلة دفاتر المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 08، 2013م.
5. حشاني (عاتكة) تعدد ترجمة مصطلحات اللسانيات التداولية في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة، مجلة البدايات، جامعة غرداية، الجزائر، المجلد 06، العدد 02، جوان 2024م.

6. سلطاني (محمد) الدرس التداولي بين التأصيل النظري والتمثيل الإجرائي: مقارنة في جهود الدكتور مسعود صحراوي، مجلة لسان العرب، جامعة وهران، الجزائر، العدد 06، 2017م.
7. الصالحي (علي) مقارنة تداولية لمشكلات الفواصل القرآنية، مجلة فصلية محكمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية.
8. عبد السلام (يسمينه) نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستن، مجلة المخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 10، 2014م.
9. عزوز (إسماعيل) التداولية عند العرب: دراسة في جهود مسعود صحراوي، مجلة التواصل اللساني، جامعة باتنة 1، الجزائر، المجلد 05، العدد 02، 2019م.
10. أدويان (محمد) نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة العربية وآدابها، تلمسان، الجزائر، العدد الأول، 1994م.
11. محمد جاد الرب: التداولية في الفكر العربي المعاصر: قراءة في المنجز الجزائري (مسعود صحراوي نموذجاً، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، المجلد 09، العدد 02، ديسمبر 2018م.
12. أنصر (محمد الصالح) تداولية اللغة العربية في الأوساط الطبية: الواقع والآفاق، أعمال ملتقى ازدهار اللغة العربية بين الماضي والحاضر، ج3.
13. بوابة المجلات العلمية الجزائرية: (ASJP) السيرة الأكاديمية والإنتاج العلمي للدكتور مسعود صحراوي، جامعة وهران 1، تاريخ الاطلاع: 28 أفريل 2026م.

خامساً: المراجع الأجنبية (Foreign References)

1. **Austin, John L.:** How to Do Things with Words, Oxford University Press, London, 1962.
2. **Searle, John R.:** Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language, Cambridge University Press, Cambridge, 1969.
3. **Wittgenstein, Ludwig:** Philosophical Investigations, Translated by: G. E. M. Anscombe, Blackwell, Oxford, 1953.

ملحق

التعريف بالمؤلف " الدكتور مسعود صحراوي " :

الدكتور مسعود صحراوي من بين الباحثين الجزائريين المتميزين في اللسانيات، وكان من الأوائل الذين أسسوا اللسانيات التداولية في العالم العربي من خلال مؤلفاته وأبحاثه التي كان لها القبول ونالت شهرة واسعة من طرف الباحثين، وطلبة العلم في العالم العربي الباحث اللساني مسعود صحراوي من مواليد ولاية سطيف بالجزائر يشغل حاليا أستاذ التعليم العالي لعلوم اللغة بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عمار تليجي الأغواط حاصل على شهادة الماجستير في اللسانيات العامة بجامعة باتنة سنة 1997م ودكتوراه في اللسانيات التداولية من نفس الجامعة سنة 2004 م، أشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في عدة جامعات جزائرية، شارك في العديد من الملتقيات والندوات العلمية الوطنية والدولية في مجال اللسانيات وله عدة مقالات منشورة في مجلات لغوية متخصصة، وهو عضو وخبير محكم في عدة مجلات لغوية عربية متخصصة وله عدة كتب منشورة. ومن كتبه المنشورة حديثا كتاب لحظة ميلاد التداولية - نظرية الأفعال الكلامية - بحث في التأسيس النظري للظاهرة مع مراجعة مفاهيمية للمصطلح وربط بالتراث العربي الطبعة الأولى، 2023 دار أزمنة الأردن، وبعد كتاب لحظة ميلاد التداولية عرضا نظريا للحظة ميلاد التداولية الغربية ممثلة في وضع نظرية للأفعال الكلامية، وهو كتاب حديث الإصدار حاول فيه الباحث إعادة قراءة التداولية وبالتحديد نظرية أفعال الكلام بمنهجية علمية وموضوعية دقيقة وبأسلوب لساني نقدي، مع مراجعة مفاهيمية نقدية للمصطلح التداولي.

التعريف بالكتاب:

وصف الكتاب شكلا

العنوان: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.

المؤلف: مسعود صحراوي.

النوع: ورقي غلاف عادي.

: 14-21 الحجم

عدد الصفحات : 239

الطبعة والسنة الأولى (1) 2005 م / الثانية (2) 2008 م.

دراسة ومناقشة مواضيع الكتاب ومضامينه

حتى يتمكن من تحقيق غايته قسم كتابه إلى خمسة فصول، خصص الفصل الأول للجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ودرسه في ثلاث محاور رئيسية:

وضح بداية المناخ العام للنظرية، وثانيا تحديد ماهية التداولية، وأخيرا أبرز مفاهيمها، وإن تقسيمه هذا يبين لنا أن تحديده المفهوم مصطلح التداولية سيكون من البيئة المعرفية التي نتج فيها المصطلح التداولي على اعتبار أن المصطلحات هي الأساس لولوج أي علم، فإذا أردنا الوقوف على واقع تلقي واستعمال المصطلح للتداولي عنده يتضح لنا أن تلقيه للتداولية ومصطلحاتها كان منشأه غريبا بحثا، مما جعل تحديده المفاهيم هذا العلم من صميم الدرس اللساني الغربي، وعليه ما مدى تأثير المراجع المتعددة التي نخلت منها التداولية على مفاهيمها وعلى مصطلحاتها ؟ هل هذا التعدد في جذورها جعلها تحمل مفاهيم عدة عنده؟

نستقصي هذه المسألة من خلال بيان المرجعية المعرفية للفكر التداولي التي بينها صحراوي إذ رأى أن التداولية قد ارتكزت في تأسيس درسها وبناء نظريتها اللسانية على روافد إبستمولوجية متنوعة، ذلك أن لكل مفهوم من مفاهيمها المختلفة مصدرا انبثقت منه، فنظرية الأفعال الكلامية - مثلا - هي "مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام هو تيار الفلسفة التحليلية ... وكذلك مفهوم نظرية المحادثة الذي انبثقت من فلسفة بول غرايس (P.Grise) وأما نظرية الملائمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي

وهكذا ... كما تتوزع هذه المصادر كذلك بين الفلسفة والمنطق، وبعض فروع اللسانيات الحديثة.

وعليه فهي تتميز بكثرة مشاربها ومواردها التي نخلت منها، مما أعطاها مرونة في البحث وسعة في المدارك.

أما الفصل الثاني والثالث من الكتاب تم تخصيصهما ل: "معايير التمييز بين الخبر والإنشاء في التراث العربي"، و"تقسيمات العلماء العرب لهما وهذا بعد تحديده لموقع هذه المسألة من البحث اللغوي العربي ضمن مباحثه، ثم شرح معايير التفريق بين الخبر والإنشاء والتفصيل في المسألة وتوضيحها عند الأصوليين وعند النحاة، وبيانا لبعض مفاهيم هذه الظاهرة، استشف الباحث في معايير التمييز بين الخبر والإنشاء عند العلماء العرب بمعيار قبول الصدق والكذب، معيار مطابقة النسبة الخارجية ومعيار إيجاد هذه الأخيرة، ثم معيار القصد بوصفه قرينة تمييزية أساسية، معيار عدد النسب، وأخيرا معيار تبعية النسبة الخارجية للنسبة الكلامية أو العكس.

ووضح في الفصل الرابع والخامس ظاهرة الأفعال الكلامية عند الأصوليين والنحاة، ونلاحظ أن الباحث عندما تلقى مصطلح الأفعال الكلامية من الثقافة الغربية؛ أي البيئة التي ولد فيها حاول تمثله -الفعل الكلامي - في الدرس اللساني العربي، من خلال إحياء وبعث الموروث اللغوي وتفعيله بالوقوف على ظاهرة الأفعال الكلامية.

الفهرس

فهرس المحتويات

شكر وتقدير.....	
إهداء.....	
مقدمة.....	1
الفصل الأول التداولية في الفكر اللساني المعاصر: المفاهيم، الإشكالات، والأسس الفلسفية	5
المبحث الأول: التداولية في الدرس اللساني المعاصر.....	6
أولاً: مفهوم التداولية.....	6
التداولية لغة:.....	6
التداولية اصطلاحاً.....	7
ثانياً: نشأة التداولية وتطورها.....	8
ثالثاً: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى	12
رابعاً: مفاهيم التداولية وقضاياها	15
المبحث الثاني: إشكالات ترجمة المصطلح التداولي في اللسانيات العربية.....	16
أولاً: طبيعة المصطلح التداولي وصعوبات ضبطه.....	16
1- طبيعة المصطلح التداولي.....	16
2- عقبات ضبط مصطلح التداولي.....	17
ثانياً: أسباب تعقيد ترجمة المصطلح التداولي	19
المبحث الثالث: المرجعية الفلسفية للتداولية:.....	20
1- فلسفة اللغة	20
2 -إسهامات شارل موريس	24
3-إسهامات تشارلس ساندروز بيرس	25

27	ثانيًا: المرجعية اللسانية للتداولية
31	ثالثًا: مفهوم اللغة بين التمثيل والفعل
31	1. اللغة بوصفها تمثيلًا للواقع
31	2. الانتقال من التمثيل إلى الفعل
32	3. اللغة كفعل تواصلية وسياقية
32	4. أثر هذا التحول في تأسيس التداولية
32	رابعًا: التحليل التداولي
35	__ خلاصة:
12	الفصل الثاني قراءة في الجهود اللغوية عند مسعود صحراوي:
44	تمهيد
45	المبحث الأول: بطاقة فنية لكتاب لحظة ميلاد التداولية
45	أولاً: التعريف بالمؤلف مسعود صحراوي
46	ثانياً: الوصف العلمي للكتاب
48	ثالثاً: إسهاماته في التداولية
49	المبحث الثاني: التداولية في رؤية مسعود صحراوي
50	أولاً: تحليل مفهوم التداولية عند صحراوي
50	1. المفهوم من منظور التجاوز المنهجي
51	2. الأبعاد المكونة للمفهوم لدى صحراوي
51	3. التداولية كمنهج لتحليل الخطاب
52	4. لتمييز بين المفهوم الفلسفي واللساني

52.....	ثانيا: النقد والتحليل لمشكلات ترجمة المصطلح التداولي.
54.....	المبحث الثالث: الأفعال الكلامية وتحليل السياق الفلسفي عند صحراوي
55.....	اولا: قراءة نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين كما عرضها صحراوي
56.....	ثانيا: قراءة سيرل وتطويره لنظرية الأفعال الكلامية
58.....	ثالثا: تأصيل النظرية في التراث العربي وفق قراءة صحراوي
58.....	خلاصة:
66.....	الخاتمة
68.....	قائمة المصادر والمراجع
88.....	الملاحق
89.....	ملخص

ملخص :

شملت الدراسة في هذا البحث موضوع البنية السردية في رواية "موت ناعم" لـ "أحمد طيباوي" ، وفقا لمذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص أدب جزائري، والبنية السردية بصفتها تعتبر من اهم ما اهتم به النقاد والدارسون اهتماما بليغا، وذلك لأنها تدرس مضمون الرواية من حيث الشخصيات والزمن والمكان، وقد تمحور هذا البحث تطبيقها على رواية جزائرية حديثة وهي رواية "موت ناعم" لـ "أحمد طيباوي" ، اذ قامت الخطة في اعدادها على مقدمة مدخل ، فصلين وخاتمة وتم تخصيص المدخل لتحديد المفاهيم المتعلقة بالبنية السردية

اما الفصل الاول خصص لذكر عناصر البيئة السردية ، اما الفصل الثاني فقد خصص للجانب التطبيقي حول رواية "موت ناعم" ، وفيه تطرقت لدراسة تحليلات البنية السردية في الرواية ، و تم اختتام هذا البحث بخاتمة تضمنت اهم النتائج المتوصل اليها

الكلمات المفتاحية : البنية ، السرد ، الرواية ، الروائي ، موت ناعم ، احمد طيباوي

Abstract:

This study focused on the narrative structure in the novel *"Soft Death"* by *Ahmed Taibaoui*, in accordance with a Master's thesis in the Department of Arabic Language and Literature, specializing in Algerian literature. The narrative structure is considered one of the most significant aspects that has attracted the attention of critics and scholars, as it examines the content of the novel through its characters, time, and setting. This research centered on applying the concept of narrative structure to a contemporary Algerian novel, namely *"Soft Death"* by *Ahmed Taibaoui*. The structure of the thesis consisted of an introduction, two chapters, and a conclusion. The introduction was devoted to defining the concepts related to narrative structure.

The first chapter was dedicated to outlining the elements of the narrative environment, while the second chapter focused on the practical analysis of the novel *"Soft Death"*, exploring the manifestations of the narrative structure within it. The research concluded with a summary of the main findings reached.

Keywords: structure, narration, novel, novelist, *Soft Death*, Ahmed Taibaoui.